راندولف وونستون تشرشل

حرب الايام الستة

المقدمة

لا زالت ازمة الشرق الاوسط معينا ينهل منه كل سياسي وصحافي . وقد بلغت الكتب التي كتبت عنها اكثر من مئة .

ان « حرب الايام الستة » يعتبر من اهمها .. وخاصة بالنسبة لنا كعرب ، لنرى مدى سفاهة الرأي العام الغربي ووقوفه الى جانب اسرائيل رغم صلافتها واعتداءاتها المتكررة على شعوب آمنة .

استطاعت اسرائيل ان تجند الكثيرين من صحفيي وكتاب العالم للدفاع عن رعونتها فاغدقت عليهم المال بدون حساب وشوهت اكثر الحقائق .

ان تحيز الكاتبين باد وواضح ..واذا اجبرنا على ترجمته كما ورد في الكتاب فذلك لنبرهن للقارىء العربي عن ضعف اجهزتنا الاعلامية التي تسبقها الى كسب الرأي العالمي . نود ان يكون مجال الرد مفتوحا امام الجميع وان يخرج منا اناس يفندون الاكاذيب ويدحضونها بدل التباكي على اخطاء مضت لا ينفع عندها بكاء او تحسر .

نكتفي بهذه الكلمة الموجزة وندع للقارىء فرصة الاستنتاج . ومن الخطوات الاعلامية الناجحة هو ان تتعرف الى اكاذيب الغير ونزيل الغشاوة عن عيون القارىء الغربي .. فنوصل اليه الحقيقة مجردة ومدعومة بالوثائق .. ان السكوت عن تبجح العدو معناه موافقة منا ..

ان حرب الايديولوجيات بدأت تعصف بالقضية الفلسطينية كما عصفت بها حماقة اسرائيل .. فهل من منقذ ؟!!

الفصل الأول

عودة الى التاريخ

تعتبر الخصومة بين العرب واليهود كعداوة اخوية : فالشعبان من اصل سامي ومتقاربان من حيث اللغة •• ويطالب كل منهما بفلسطين كوطن لـــه •

منذ ثلاثة آلاف وخمسماية سنة اخرج موسى الشعب اليهودي من مصر حيث كان مستعبدا وقاده ، وسط صحراء سيناء الى ارض كنعان حيث اقام ابراهام بعد ان رحل عن ارض ما بين النهرين • حارب العبريون القبائل الكنعانية فهزموهم واستعبدوهم وعاشوا في فلسطين حتى سنة سبعين بعد الميلاد • وفي تلك السنة بالذات هدم تيتوس اورشليم مما ادى الى انتشار اليهود في جميع اصقاع الأرض •• وبقي قسم منهم في فلسطين ثم جاء الاسلام من اقاصي الجزيرة وبسط نفوذه على ارض الميعاد حتى سنة ١٩٢٠ حيث استطاع الجنرال اللنبي ان يسجل الانتصار تلو الآخر واصبحت البلاد تحت الحكم البريطاني • وما ان بلغ اليهود ضفاف الأردن حتى تبين لهم انهم بلغوا الأرض التي وعدوا بها وبعد ان استولوا على حصن جرش المصري اقاموا في البلد وراحوا يدافعون عن انفسهم ضد هجمات القبائل المجاورة •

وفي سنة ٧٠ بعد المسيح ثار اليهود ضد اسيادهم ، ولكن الانتفاضة سحقت في الحال •• فدمر الرومانيون اورشليم واحرقوا الهيكل •

ومنذ عهد الاحتلال الروماني لفلسطين هاجر اليهود من آسيا الصغرى الى اسبانيا الجنوبية ، ووادي الرون وايطاليا واليونان • كما هاجر قسم منهم الى شواطىء البحر الأحمر وبلاد فارس • وعندما انتقلت مراكـز

الحضارة الكبرى ، في اواخر العصور الوسطى ، الــى أوروبا الشمالية اندفع اليهود في ركب الحضارة هــذه وجاؤا يقيمون خاصة في روسيا والمانيا وانجلترا • كانت القدس منذ القدم المدينة المقدسة للمسيحيين واليهود ثم اصبحت فيما بعد احد الاماكن المقدسة عند المسلمين ايضا •

وفي سنة ١٨٨١ اسس بسمارك الالماني جمعية ضد السامية من اهدافها حرمان اليهود من حقوقهم المدنية واقفال الباب امام الهجرة اليهودية •• وعقد في السنة التالية مؤتمر عام ضد السامية في مدينة دريسد • اجتاحت موجة العداء للسامية فرنسا سنة ١٨٩٤ بعد الحكم على ضابط يهودي ، الفرد دريفوس الذي اتهم ببيع اسرار عسكرية الى المانيا •• اما في روسيا فقد قامت السلطات بحركة لاستئصال اليهود في اواخر القرن وطردتهم من موسكو وكييف وحرّمت عليهم العودة الى تلك المدن •••

كان من الطبيعي ان يوجه تزايد الضغط والملاحقة الفكرة اليهودية نحو وجهة جديدة •• ففي سنة ١٨٨٢ نشر طبيب يهودي من اوديسا كراسا أكد فيه انه لا يمكن التعايش بين اليهود وسكان البلاد والاصليين •• وان الحل الوحيد ، على حد قوله ، لكي يستعيد اليهود احترامهم وكيانهم هو اقامة وطن قومي لهم في فلسطين •• وقرر بعض اليهود الروس الذهاب الى ارض الميعاد التي كانت آنذاك مقاطعة عثمانية واسسوا فيها مستعمرات زراعية يدعمهم احد رجال البنوك الباريسيين الا وهــو البارون ادمون روتشيلد •• وفي سنة ١٨٨٤ بعثت احدى الصحف النمساوية بثيودور هرتزل الى باريس ليتابع عن كثب تطورات قضية دريفوس •• وكجميع اليهود الاوروبيين اقتنع هرتزل بضرورة ايجاد موطن ثابت •• وبعد ثلاث سنوات عقد اول مؤتمر صهيوني في بال ، في سويسرا ، برئاسة هرتزل •• وخرج المؤتمر الى نتيجة هي : « تأمين وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون الدولي » •وبقي قسم كبير مــن اليهود ضــد

الصهيونية •• فقد كانوا يتخوفون من ان تجلب هذه الحركة الانتباه وتعمل على اتساع فكرة معاداة السامية •••

توفي هرتزل سنة ١٩٠٤ ، ولكن الحركة الصهيونية اتسعت وبدأت الحركة الوطنية اليهودية تجمع المال من اجل شراء الأرض في فلسطين •• وما ان اطل عام ١٩١٤ حتى كانت المستعمرات اليهودية الزراعية منتشرة في تلك المقاطعة التركية •• فقد بنى اليهود مدينة جديدة كليا هي تــل ابيب او « رابية الربيع » بالقرب من المدينة العربية يافا ، وفي سنة ١٩١٤ بالذات تم انشاء اول مشغل فني في اوروشليم •

بدأت الامبراطوريــة العثمانية تتفتت في النصف الثاني من القــرن التاسع عشر بينما كانت الدول الاوروبية تتهافت للاستيلاء الكامل على بعض المقاطعات الافريقية وكان رجال الدولة البريطانيون منشغلين في مصر •• وهنا قرر احد اليهود المتنصرين وهو بنيامين ديزرائيلي الذي كان يعمل بصفته رئيسا للوزراء ، قرر شراء اكثرية اسهم قناة السويس ، ومنذ ذلك الحين بدأت انكلترا تنظر الى منطقة السويس كنقطة حيوية هامــة ولا فرق اكان ذلك من الوجهة الاقتصادية او الوجهة الاستراتيجية •••

وفي نهاية شهر تشرين الاول سنة ١٩١٤ اجتمــع مجلس الوزراء البريطاني ليس لبحث العداء التركي المتزايد ضد بريطانيا بل للنظر فــي احتمال نشوب حرب وشيكة •• ويومها وقف وزير البلاط البريطاني ، لويد جورج ، وحث زملاءه على التفكير « بمصير فلسطين النهائي » •• لم يكن في مجلس الوزراء سوى يهودي واحد هو هربرت صامويل فقابل ادوار غري ، وزير الخارجية ، وتباحث معه « في احتمال انشاء دولة يهودية تكون ذات فائدة كبرى للامبراطورية البريطانية نظرا لوقوعها بالقرب من قناة السويس • وكانت ردة الفعل المباشرة يوم ١٨ كانون الأول سنة

١٩١٤ حيث قررت بريطانيا وضع مصر تحت الحماية • واصبحت تحكمها بطريقة مباشرة أكثر مما مضى • في اواخر عام ١٩١٥ جاء اللاجئون اليهود الهاربون من الحكم التركي في فلسطين ، جاءوا الى مصر ووقفوا الى جانب الانكليز والفوا فرقة من المتطوعين تعدادها ٦٠٠ شخص وحاربوا في الدردنيل في صفوف الجيش البريطاني •• وفي شهر آذار ١٩١٦ استمزج ادوار غري اراء الحكومتين الفرنسية والروسية في صيغة عقد اتفاق حول موضوع فلسطين • وبدأت الحكومة البريطانية محادثات حول هذه القضية مع حاييم وايزمن الذي خلف هرتزل على رأس الحركة الصهيونية •

وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ رأى وعد بلفور النور والذي نص على اعطاء فلسطين كوطن لليهود •

اتخذ هذا « الاعلان ــ الوعد » شكل رسالة من وزير خارجية بريطانيا الى اللورد روتشيلد :

« يسرني ان انقل اليكم باسم حكومة جلالة الملك اعلان التعاطف التالي نحو الأطماح الصهيونية والذي تلي علنا ووافق عليه مجلس الوزراء بالاجماع : « تحبذ حكومة صاحب الجلالة وتؤيد بحرارة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وستعمل جاهدة على تحقيقه ••• » •

في تلك الاثناء كان مؤيدو القضية العربية داخل الجيش البريطاني ووزارة الخارجية ــ والذين رفضوا كليا وعد بلفور ، كانوا يؤيدون جهود لورنس من اجل تنظيم الثورة العربية سياسيا وعسكريا •• وكان من السهل جدا ان ينتصر العرب نظرا لقلة عدد اليهود المقيمين في فلسطين •• ولكن الدعاية اليهودية تركت اثرا كبيرا على سياسة الرئيس الامريكي

وودرو ويلسن •

وفي نفس الوقت ايضا رفض الكثيرون من اثرياء اليهود مساعدة الحركة الصهيونية • ولم يمنحها آل روتشيد المقيمون في بريطانيا تأييدهم ويدعمونها الا بعد ان تسلم هتلر الحكم كما ان الامريكي برنار باروخ حاربها طيلة حياته •

انتهت الحرب وقررت بريطانيا ان تضع وعد بلفور موضع التنفيذ •• وعهد اليها امر الانتداب على فلسطين في مؤتمر سان ريمو يوم ٢٠ نيسان سنة ١٩٢٠ • وهنا بدأت الحركات العربية المناوئة لوعد بلفور تقوى وكان ذلك أيام سعد زغلول رغم وجود مصر تحت الانتداب البريطاني •• كما اقدم الوطنيون المصريون على اغتيال حاكم السودان العام (لي ستاك) في قلب القاهرة سنة ١٩٢٤ •

وفي سنة ١٩٢١ اختير الحاج امين الحسيني مفتيا للقدس •• وكرّس هذا الأخير جهوده ضد السامية فنسف سياسة السلطات المنتدبة •• واعلن ان اليهود يريدون انتزاع فلسطين والاماكن المقدسة من العرب وان الانتداب البريطاني ما هو الا الخطوة الاولى لتحقيق هذا الهدف •• وفي آذار سنة ١٩٣٣ اعلن تأييده التام للمجلس التنفيذي العربي واحتج ضد الهجرة اليهودية وشراء الصهاينة لاراضي فلسطين • وفي نيسان ١٩٣٦ قاد الاضراب العام الذي نظمه عرب فلسطين وطالب بتحقيق امور ثلاث • وقف الهجرة اليهودية ، منع بيع الأراضي من اليهود • وانشاء حكومة وطنية تمثل جميع الفئات ••• وكان من الطبيعي ان ترفض حكومة بريطانيا هذه المطالب •• وهنا قرر المفتي القيام بحركة ارهابية تجعل العيش مستحيلا في البلاد ودعا الى تنظيم ثورة عربية •

واعترفت السلطات الحاكمة ان الثوار يتلقون من الخارج (عدا

المرتزقة الذين يأتونهم على الأغلب من العراق وسوريا) المال والاسلحة •• وكانت المانيا النازية وايطاليا الفاشستية هما البلدان اللذان ساعـدا الثوار العرب بشكل فعال •

بعد انتهاء الحرب حاول اليهود ، يساندهم قسم كبير من البريطانيين، تقديم المفتي الأكبر الى المحكمة واعتباره مجرم حرب •• ولكن هـذه المحاولات باءت بالفشل وغادر المفتي الى مصر حيث استقبله الملك فاروق رسميا وقدم له كهدية قصرا يقيم فيه •• انه يعيش الآن في لبنان ويقوم بنشاط سياسي كبير •• واطلق عليه اسم « رئيس الهيئة العربية العليا •• » كما قام مؤخرا بزيارة الى الملك حسين ، ملك الأردن ، ونجح في ادخال عدد كبير من مؤيديه في البرلمان الأردني •

تزايدت الهجرة اليهودية الى فلسطين ابتداء من سنة ١٩٢٤ •• وفي سنة ١٩٢٩ تم انشاء اول « مؤسسة يهودية لفلسطين » كي تمثل الجالية اليهودية العالمية تجاه السلطات البريطانية المنتدبة •• وهكذا فتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصراعيه • كان اليهود يأملون بازدياد عددهم كي يكونوا اغلبية السكان بالنسبة الى العرب المقيمين في البلد وان يضعوا حدا للانتداب عندما يحين الوقت المقرر وعندئذ يتسلمـون زمام السلطة •

وفي سنة ١٩٣٠ ابلغت الحكومة البريطانية عصبة الأمم انه يستحيل منح فلسطين استقلالها نظرا للمناوشات المتزايدة بين اليهود والعرب • وفي سنة ١٩٣٦ نشبت الثورة العربية الثالثة وعهد الى بعثة بيل ان تدرس الوضع المتأزم وتضع حدا للعداء العربي الاسرائيلي ونصحت بتقسيـم البلاد الى دولتين مختلفتين •

وابتداء من سنة ١٩٣٣ ، وبسبب الملاحقات الهتلرية ، شجعت الحكومة

البريطانية الهجرة اليهودية الى فلسطين •• فقد بلغت نسبة السكان اليهود ١١./٪ سنة ١٢٩١ وارتفعت الى ٢٩./٪ سنة ١٩٣٩ • وتبين للعرب انه اذا ما استمرت النسبة المئوية ترتفع بهذا الشكل ، فان اليهود سيكوّنون اغلبية السكان سنة ١٩٦٢ وعندئذ لن يكون هناك ما يحول دون تسلمهم زمام السلطة • وتجدر الملاحظة الى ان حوالي ٤٠ الف لاجيء عربي تركوا فلسطين ابان الثورات الثلاث (١٩٣٦ — ١٩٣٩) وذهبوا الى البلدان المجاورة •

وفي ١٧ أيار ١٩٣٩ نشرت الحكومة البريطانية كتابا ابيض عن فلسطين وحددت فيه ان عدد من سيسمح لهم بالهجرة الى فلسطين هو ٧٥ الف فقط وان الهجرة ستمنع ابتداء من سنة ١٩٤٤ ••• وادى هذا الى تصدع العلاقات بين المؤسـسـة اليهودية وحكومة الانتـداب • ونص الكتاب الابيض على ان السماح برفع نسبة الهجرة يجب ان يخضع مسبقا لموافقة العرب •• ومعنى هذا ان اليهود لن يكونوا يوما الاغلبية المقيمة فـي البلاد ورغم ذلك رفض العرب وكذلك فعل اليهود وكان هذا دليلا كافيا مفاده ان العرب لن يوافقوا ابدا على انشاء دولة يهودية او على اشتراك يهودي في حكومة دولة عربية •

وعندما نشبت الحرب في ايلول سنة ١٩٣٩ وجد اليهود انفسهم في مأزق حرج • كانت مصلحتهم تقضي ، ظاهريا ، بان يساندوا بريطانيا ضد الجيوش الهتلرية •

كان الجيش البريطاني يضم عربا كثيرين في صفوفه وكان المسلمون يؤلفون كثرة ساحقة في جيش الهند •• ولكن بريطانيا لم تكن متحمسة لانشاء جيش يهودي خاص لعلمها ان هذا الجيش سيفرض شروطـه في نهاية الحرب •• ولذلك تكونت فرقة يهودية وانخرط الكثيرون من اليهود

في خدمة الوحدات الانجليزية • وافق اليهود والتزموا باهداف حـرب الحلفاء ثم قاتلوا في صفوف جيوشهم •• وفي ذلك الوقت انبثقت حركة يهودية تقاوم الانجليز بعنف وضراوة • وفي آذار ١٩٤٣ رفعت الى مجلس اللوردات وثيقة تهدف الى الغاء القيود المفروضة على هجرة اليهود الهاربين من اوروبا التي تحتلها القوات النازية • واعلن اللـورد بلايسوث باسم الحكومة انه يستحيل فرض القيود على مثل هذه القضايا •

بدأت مجموعة سترن الارهابية اليهودية في فلسطين بتنظيم الهجرة غير الشرعية وتهريب الاسلحة والسطو على مستودعات الاسلحة واغتيال الجنود الانكليز •• والجدير بالذكر ان هذه المجموعة هي المسؤولة عن اغتيال اللورد موين (١) ، وزير الدولة البريطاني آنذاك في القاهرة •

وبلغ التوتر اليهودي الانكليزي ذروته في ٢٢ تموز ١٩٤٦، حيث نسف الارهابيون جناحا من فندق الملك داود ، مقر الحاكم البريطاني في اوروشليم •• واسفر الحادث عن مقتل تسعة جنود بريطانيين •• عندئذ امر السير افلين باركر الجنود الانجليز بمقاطعة التجار اليهود ••

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ عدلت بريطانيا موقفها تجاه القضية الفلسطينية ، وطلب المصريون الى القوات الانجليزية ان تترك بلادهم دون شرط ورفضوا اتفاقا وقع من انورين بيفان والذي كان يقضي ان يتم الانسحاب تحت شرط في سنة ١٩٤٩ •• منذ ذلك الحين بـدأت بريطانيا تنظر الى فلسطين على اساس مجال استراتيجي هام •• وفي نهاية ١٩٤٦ بدأ الانجليز بشحن مستودعات الاسلحة من مصر الى فلسطين •• واستمر التوتر يزداد تدريجيا طوال سنة ١٩٤٧ •

لم يوافق الرئيس ترومان على السياسة البريطانية المتبعة في تلـك

(١) Mayne

المنطقة وخاصة مصير فلسطين كأرض استقبال للاجئين اليهود وادى هذا الى اختلافات جذرية بين امريكا وبريطانيا •• كما احدث مقتل ضابطين انكليزيين على ايدي المتطرفين اليهود موجة من الاستنكار في بريطانيا ضد السامية •

ساهمت الازمة ايضا في اثارة المشاعر البريطانية ضد الاميركيين ، اذ ان الكثيرين من يهود الولايات المتحدة قد دفعوا للمنظمات الصهيونية وتولوا حملة صحافية ضد السياسة الانجليزية •• ونجمت عن هذا العداء المتزايد حوادث مؤلمة •

وفي ٢٥ شباط سنة ١٩٤٧ اعلنت الحكومة البريطانية انها سترفع القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة ، وعلى الأثر تشكلت بعثة خاصه بفلسطين وكان ذلك في ٥ أيار من نفس السنة واوصت في الحال بالغاء الانتداب وتقسيم فلسطين الى دولتين : دولة عربية ودولة اسرائيلية على ان توضع مدينة القدس تحت ادارة دولية •• وفي ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ وافقت الجمعية العمومية للامم المتحدة على مشروع التقسيم باغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ وتغيب عشرة اعضاء عن الاقتراع •• كما صوتت كل من روسيا وامريكا وفرنسا الى جانب المشروع •• قبل اليهود بهذا التقسيم ولكن عرب فلسطين وجميع الدول العربية رفضت التقسيم •• وبناء على ذلك اعلنت الحكومة البريطانية انها ستستمر في انتدابها وانها ستحتفظ بجميع سلطاتها في فلسطين حتى ١٥ أيار ١٩٤٨ وانه لن يسمح لبعثة الامم المتحدة بالدخول الى فلسطين قبل اسبوعين فقط من انتهاء فترة الانتداب•• وفي ٢٣ آذار سنة ١٩٤٨ وقف بيفين في مجلس العموم يحدد موقف بلاده على الشكل التالي :

« لكي نخرج من فلسطين يجب ان تتوفر لنا ظروف تسمح بذلك »•

اشتد اوار الصراع العربي اليهودي منذ بداية ١٩٤٨ واتخذت المعارك طابعا اكثر ضراوة وعنفا من قبل • فقد بدأت القوات العربية المسلحة تدخل من سوريا والاردن الى فلسطين وتوالت اعمال العنف تتزايد وادى ذلك الى مذبحة رهيبة في ٨ نيسان ١٩٤٨ وقعت في دير ياسين حيث قتل اليهود ٢٥٤ شخصا اكثرهم من الاطفال والنساء •• وما ان علم دافيد بن غوريون حتى سارع بارسال برقية اعتذار الى الملك عبدالله ، ملك شرق الأردن •• ولكن بن غوريون كان متضامنا فعليا مع الارهابيين •• ورد العرب على مذبحة دير ياسين في ١٢ نيسان بان قتلوا ٧٧ شخصا بين طبيب وممرض وهم في طريقهم الى احد المستشفيات •• وادت هذه المجازر الى الاسراع بنزوح العرب عن فلسطين •• حيث لم يبق في فلسطين سوى مائة وسبعين الف عربيا من اصل سبعمائة الف •

اعقب انشاء دولة اسرائيل ، في ١٤ أيار سنة ١٩٤٨ ، هجوم شامل وسريع شنه العرب •• وانتظرت اسرائيل حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٨ حيث قبلت بهدنة الامم المتحدة وعادت الى استئناف المعركة مدة عشرة أيام من شهر شباط ١٩٤٩ في النقب ضد المصريين •• وفوّت الاسرائيليون على العرب فكرة طردهم نهائيا من البلاد واستطاعوا الاستيلاء على اراض اكثر من تلك التي حددها مشروع التقسيم •• ولكن خطوط الهدنة لم تكن ملائمة لعقد سلام كامل •

كانت الجيوش الاسرائيلية اثناء الحرب تحت قيادة الجنرال موشي دايان • ويقال ان عدد الجيش الاسرائيلي كان حوالي عشرين الف مقاتل ومقاتلة مقابل ٣٥ الف جندي من سبعة بلدان عربية ••• وتلقت اسرائيل الاسلحة ، بواسطة جسر جوي ، من تشيكوسلوفاكيا : مدافع عيار ٧٧ مم ، مدرعات خفيفة ، بنادق برن ورشيشات • واطبق العرب الحصار على مدينة القدس من ١٨ أيار الى ١١ حزيران يوم وصلت قافلة تحمل الاغذية

والمواد الصحية قادمة من تل ابيب ودخلت المدينة •

اعترفت الولايات المتحدة باسرائيل بعد ساعة من انشائها وبعد ثلاثة ايام فقط اعترفت بها روسيا وكذلك افريقيا الجنوبية التي كانت يوم ذاك عضوا في الكومنولث البريطاني •• واعترفت بها كندا في آخر السنة نفسها •• كان الوضع يختلف بالنسبة لبريطانيا التي لم تعترف بالدولة الجديدة الا بعد مضي عشرة اشهر • اثناء هذه الاشهر الطويلة كان ونستون تشرشل يضغط على حكومة اتلي ووزير الخارجية البريطانية انورين بيفان كي يتخذوا موقفا اكثر ايجابية وواقعية •• واشار في شهر كانون الاول سنة ١٩٤٨ الى ان هذه القضية هي اساس الخلاف المتفاقم بين انكلترا والولايات المتحدة • ثم اضاف :

« ان مصلحتنا تقضي بان نكون ممثلين في تل ابيب كما في عمان »

بعد اربعة ايام فقط من خطاب تشرشل اعترفت باسرائيل كل من البلدان التالية : فرنسا ، بلجيكا ، البلدان المنخفضة ، ايطاليا ، سويسرا ، اوستراليا ، زيلندا الجديدة ، الدانمارك ، النرويج وبلدان اميركا اللاتينية •

رفض العرب الاعتراف بالاجماع ولم يتبدل موقفهم منذ ذلك الحين • ان كل من يرغب بزيارة اسرائيل واي بلد عربي في نفس الوقت يجب ان يحصل على جوازي سفر •• كما ان العرب رفضوا اعلان انفسهم في حالة حرب دائمة مع بلد لا يعترفون بوجوده •• ومنذ عام ١٩٤٨ منعت اسرائيل من استخدام قناة السويس •

مما لا شك فيه ان مصر هي اقوى البلدان العربية واكثرها عداء تجاه اسرائيل • ففي سنة ١٩٥٢ عرفت مصر موجة من الوطنية ادت الى خلع الملك فاروق اثر انقلاب قام به الجنرال محمد نجيب •• كان هذا رئيس

نادي الضباط في القاهرة وقائدا لكتيبة مشاة وقد جرح ثلاث مرات اثناء حرب سنة ١٩٤٨ •

وفي سنة ١٩٥٤ وجد محمد نجيب نفسه امام منافس قوي هـو الكولونيل ناصر • وقد نجح هذا الاخير بتسلم زمام السلطة ووضع محمد نجيب في الاقامة الجبرية •

امتنعت اليد العاملة المصرية عن الحضور الى العمل في منطقة قناة السويس طيلة عام ١٩٥٢ ، وبدا ان حياة ٨٠ الف جندي مرابطين هنـاك مهددة بالخطر وذات يوم احرق البريطانيون قسما كبيرا من المدينة وذلك من اجل حماية قنوات مياه الشرب من النسف • وفي نيسان سنة ١٩٥٤ وقع اتفاق بين مصر وانكلترا تعهدت فيه الاخيرة بالانسحاب دون شرط من منطقة القناة بعد سنتين •• تبين عبد الناصر ان الاتفاقية لا ترضي طموح شعبه الوطنية وراح يبحث عندئذ عن سياسة مرنة تستطيع ان تجمع من حوله الرأي المصري وربما ليبرهن للقادة العرب الآخرين ، الذين لم يؤيـدوا انقلابه ، على انه القائد الحقيقي للقومية العربية •

وردا على الغارات المصرية المتكررة شن بن غوريون ، وزير الحربية آنذاك ، شن في ٢٨ شباط ١٩٥٥ حملة على المواقع المصرية في غزة ودمر قسما كبيرا منها •

ساعد الاميركيون عبد الناصر كثيرا في بداية حكمه وأخذوا ينظرون اليه كرجل معتدل ومؤيد لهم •• ولكن نظرتهم اختلفت كليا بعد ان وقع عبد الناصر عقدا مع الروس للحصول على الاسلحة •• ويقول كرميت روزفلت في كتاب مايلز كوبلند « لعبة الامم » ان عبـد الناصر قال ان العقد وقع مع التشيكيين وليس مـع الروس •• ولكـن زيارة السفير

البريطاني في القاهرة لناصر في مكتبه ، اثناء وجود روزفلت ، لم تدع مجالا للشك في ان العقد روسي مائة بالمئة •

وبعد ان انسحبت الجيوش البريطانية من منطقة قناة السويس قامت مصر تطلب المساعدات وحصلت من بريطانيا وامريكا والبنك الدولي على مساعدة مالية لبناء سد كبير على النيل هو سد اسوان الضخم •• وفي ١٩ تموز ١٩٥٦ اعلنت الدولتان الكبيرتان تمنعهما عن دفع المساعدة •• وبعد اسبوع اعلن عبد الناصر تأميم القناة •

أثارت هذه الخطوة ردود فعل قوية في كل من لندن وباريس ولجأت فرنسا وانكلترا الى الامم المتحدة وامريكا بحثا عن وسيلة لتدارك نتائج هذا العمل المفروغ منه •

وازداد القلق في اسرائيل ، في نفس الوقت ، بالنسبة لاعمال المقاومة المتزايدة بعد ان تصاعد دخول المسلحين من سوريا ومصر والاردن •• وكرد على ذلك شنت فرنسا وبريطانيا واسرائيل هجوما مركزا على بور سعيد •• وتوغل الاسرائيليون ، من جهتهم ، داخل المواقع المصرية في صحراء سيناء • واستطاع الاسرائيليون في خمسة ايام ، في شهر تشرين الاول ان يتوغلوا مسافة ٧٠ كيلومترا من قناة السويس ويستولوا على شرم الشيخ ويفتحوا طريق خليج العقبة التي كانت محظورة على سفنهم وذلك منذ ان احكم المصريون الحصار على مضيق تيران •

تنادت جميع المؤسسات اليهودية في العالم لجمع مليارات الفرنكات اللازمة لتوطين اليهود الاوروبيين ولا فرق اكان ذلك في اسرائيل ام في البلدان الغربية • ولم تساهم بلـدان الخليج العربي الغنيـة بالبترول ، وخاصـة الكويت والمملكـة العربية السعودية ، لـم تساهم بما فيـه

الكفاية لتأمين المسكن والحياة الكريمة للذين سمتهم بالاخوة •• ووجدت انه من الانسب لهؤلاء ان يعيشوا مما تقدمه لهم الامم المتحدة وتقيهم شر المجاعة على اقل تقدير •

اكمل الاسرائيليون انسحابهم من شبه جزيرة سيناء في بداية عام ١٩٥٧ ، ولا ننسى ان اسرائيل مانعت كثيرا بالانسحاب من غزة وشرم الشيخ بعد ان اعتبرت ان هاتين المنطقتين تعتبران نقطتان استراتيجيتان بالنسبة لها •• وفي ٢٠ شباط من العام نفسه وقف الرئيس ايزنهاور يهدد ويقول : « انه اذا ما خرقت مصر بنود الهدنة فانه يتحتم على جميع الدول ان تتدخل من اجل احلال السلام في المنطقة • » •

الفصل الثاني

حصار المضيق

بدأ كل شيء بكذبة •• ولكن الكذبة كانت هذه المرة روسية •• فقد ابلغت روسيا القاهرة في بداية شهر أيار ان الاسرائيليين يحشدون جيوشهم على الجبهة السورية •• وبعد اسبوعين تلقت القاهرة معلومات تفيد ان الجيش الاسرائيلي حشد احدى عشر فرقة في تلك المنطقة •• ولكن في الحقيقة لم يكن هناك سوى فرقة واحدة تتألف من ١٢٠ رجلا تنحصر مهمتهم بمراقبة المتسللين من الحدود السورية • وفي ١٩ أيار افاد مراقبو الامم المتحدة المقيمين على طول الجبهة انه ليس هناك ما يؤكد وجود مثل هذه التحركات ••• (١) •

كانت روسيا تهدف الى توريط عبد الناصر في الحرب بعد ان اوهمته بان اسرائيل تحشد قواها على الجبهة السورية وان هذه الاخيرة باتت مهددة بالاحتلال بين يوم وآخر •• وتوخت من ذلك ان تعود اسرائيل وتتراجع عن نواياها •• ولكن ، في الحقيقة ، جاءت كل هذه التوهمات عارية من الصحة ولا تستند الى الواقع على الاطلاق •

وفي يوم ٩ حزيران قدم عبد الناصر استقالته ووجه خطابا الى شعبه قال فيه : « كان واضحا يوم خمسة عشر أيار ان تصاريح العدو على لسان سياسيه وقواده الحربيين ، ان اسرائيل تنوي اجتياح سوريا •• وقد اكد اخواننا السوريون ذلك كما ان اصدقاءنا السوفيات اعلموا اللجنة البرلمانية

---

(١) راجع تقرير الامين العام للامم المتحدة المقدم الى مجلس الأمن في ١٩ أيار ١٩٦٧ حيث يقول : ((اكدت التقارير الواردة من مراقبينا انه لا وجود لحشود وتحركات هامة على جانبي خط الهدنة)) .

التي زارت الاتحاد السوفياتي في اوائل الشهر الماضي ، ان هناك نوايا عدوانية مسبقة لمهاجمة سوريا •• وكان من واجبنا ، ازاء ذلك ، الا نقف مكتوفي الايدي •• » •

كانت الأزمة التي ادت الى نشوب الحرب تعد منذ ستة اشهر •• ففي شهري تشرين الأول وتشرين الثاني عام ١٩٦٦ تزايدت الاعمال الارهابية يقوم بها رجال المنظمة الفلسطينية العربية « فتح » •• وفي ٤ تشرين الثاني وقعت كل من مصر وسوريا معاهدة دفاع مشترك فيما بينهما •• وقام الاسرائيليون على التوالي بعمليتين حربيتين جريئتين جدا •• ففي ١٣ تشرين الثاني قامت وحدة اسرائيلية تساندها المدرعات والمصفحات بعبور الجبهة الاردنية وهاجمت بلدة السموع •• وجاء في تقرير ليوثانت عن الهجوم ان اسرائيل دمرت ١٢٥ منزلا ومدرسة ومستشفى • لم تكن اسرائيل تنوي الحاق الضرر بالاردن ولكنها ارادت ان تبرهن بانها لن تسمح ان تكون الاردن منطلقا للعمليات الفدائية الموجهة ضدها •• وفي بداية شهر نيسان ١٩٦٧ قررت الاسرائيليون اسكات المدفعية السورية التي كانت تضرب على المزارعين وهم منهمكين في حراثة الأرض الواقعة في المنطقة المنزوعة السلاح بالقرب من بحيرة طبريا •• فخسر السوريون ست طائرات من طراز ميغ •• وكان لهذا اثر واضح في قوتهم الجوية اثناء الاشتباكات التي تلت هذا الحادث • ورغم ذلك تكررت هجمات السوريين كما كانت من قبل مما دفع القادة الاسرائيليين الى القول بانهم على استعداد للضرب من جديد • ووقف الجنرال رابين قائد القوات الاسرائيلية يندد بالهجمات السورية ويلمح الى ان قواته تستطيع مهاجمة دمشق والاطاحة بحكم نور الدين الاتاسي •• وبعد اربعة ايام كان ليفي اشكول، رئيس وزراء اسرائيل يخطب في نادي ايدار في تل ابيب ويقول : « نظرا للاعتداءات السورية المتكررة والتي بلغت اربعة عشر اعتداء في الشهر

الماضي نرى انفسنا مجبرين على اتخاذ اجراءات حاسمة تفوق تلك التي اتخذناها في ٧ نيسان الماضي • »

لم ترق الاشياء ظاهريا للرئيس عبد الناصر •• اذ اتخذ اعداؤه العرب وجود قوات الامم المتحدة في الاراضي المصرية ذريعة لهم ليهاجموه ويهزأون منه وتساءلوا لماذا لا تسمح مصر للمنظمات الفدائية بالانطلاق على نطاق واسع من ارضها •

كان عبد الناصر واثقا من ان الصدام الاسرائيلي العربي بات وشيكا وراى في ذلك انه بالامكان اسكات خصومه واستعادة ما فقده من مكانة في العالم العربي •• وانه مجبر ، في نفس الوقت ، على اظهار ما للدفاع المشترك مع سوريا من قيمة وبأية طريقة كانت •

وفي ١٥ أيار عرفت القاهرة اكبر رتل من القوات العسكرية تمر وهي في طريقها الى قناة السويس •• واعطت الصحافة والراديو والتلفزيون وصفا حيا للمشاهد واحاطتها بضجة دعائية كبرى •• وفي نفس اليوم كان يحدث في القدس نفس الشيء اذ قامت اسرائيل باجراء عرض عسكري بمناسبة عيد استقلالها •• وجاءت فعلتها هذه تذكي النار وتزيدها التهابا •• مع العلم ان منطقة القدس الاسرائيلية كانت تعتبر منزوعة السلاح • واستنادا الى القواعد المرعية لم يعرض الاسرائيليون المدرعات الثقيلة ولا المدفعية بل اكتفوا بعدد محدود جدا من الجنود •• ورفض العرب ذلك وعللوه بان القوات الاسرائيلية قابعة على الحدود ولم تشترك في العرض•

وفي ١٦ ايار ، الساعة العاشرة ليلا ، بعث الجنرال فوزي قائد القوات المصرية بهذه البرقية الى الجنرال ريكي [1] : « للاعلام : لقد اصدرت

(١) الجنرال ريكي من اصل هندي وكان قائدا لقوات الامم المتحدة المرابطة على القناة •

الاوامر الى قوات الجمهورية العربية المتحدة لتكون على اهبة الاستعداد ضد اسرائيل اذا حاولت الاعتداء على اي بلد من البلدان العربية •• ان قواتنا محشودة الآن في سيناء على جبهاتنا الشرقية •• وللمحافظة على حياة جنود المراقبة التابعين للامم المتحدة اطلب اليكم اخلاءهم في الحال •• وقد زودت قائد الجبهة الشرقية بجميع المعلومات عن هذه القضية • ارجو اعلامي باتمام ذلك • » وفي اليوم التالي تحدث راديو القاهرة عن هذه البرقية في جميع نشراته الاخبارية •

نقل ريكي الطلب المصري الى يوثانت وذهب ينام • واستنادا الى راديو القاهرة ، ارادت مصر ان تبعد جنود الامم المتحدة عن ميدان المعركة المحتمل مخافة ان يصابوا باذى اذا ما انفجرت الازمة ونشبت المعارك •• ويقال انه طلب الى الجنرال ريكي ان يسحب جنوده ويحشدهم في منطقة غزة •• ولم يأت احد على ذكر مركز الامم المتحدة في شرم الشيخ •• وما ان تسلم يوثانت نص البرقية من ريكي حتى استدعى السيد القوني رئيس البعثة المصرية الى الامم المتحدة واعلمه ان انسحابا جزئيا غير وارد لانه لا يمكن ان تقف الامم المتحدة مكتوفة الايدي وتسمح للفريقين بالعودة الى القتال » • معنى هذا انه لم يكن امام عبد الناصر الا حلين : اما ان يطلب الى قوات الامم المتحدة الانسحاب الكامل او ان يقبل ببقائهم في مراكزهم •

كلفت قوات الامم المتحدة بالحفاظ على السلام في المنطقة منذ قضية السويس عام ١٩٥٦ •• وقد استدعيت للقيام بهذه المهمة بعد اتفاق تم ما بين الرئيس عبد الناصر وداغ هامرشولد ، سكرتير عام الامم المتحدة آنذاك •• [١] ويقول همرشولد في مذكرة له بعد توقيع الاتفاقية مع عبد

(١) كانت هذه القوات تتألف من ٩٧٨ هنديا ، ٧٩٥ كنديا ، ٥٧٩ يوغسلافيا ، ٥٣٠ سويديا ، ٤٣٠ برازيليا ، ٦١ نرويجيا وجنديان دانماركيان •

الناصر ، ان مصر تعهدت بقبول القرار الذي اتخذته الجمعية العمومية في تاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩٥٦ » • ولكن الم يعلن مدير عام الانباء المصري الكولونيل حاتم ، في ١٢ تشرين الثاني ١٩٥٦ ، انه من المتفق عليه ان قوات الامم المتحدة ستترك مصر عند اول طلب تتقدم به الحكومة المصرية ؟ ولكن كيف كان على يوثانت ان يتصرف الآن وبعد ان برزت حقيقة اتفاق عام ١٩٥٦ ؟ لقد فكر هامرشولد كثيرا بهذه العبارة وكانت موضوع محادثاته الهامة مع عبد الناصر طيلة سبع ساعات في ١٧ تشرين الثاني ١٩٥٦•

يقول همرشولد في مذكرة له صادرة في ٥ آب ١٩٥٧ انه توصل الى اتفاق مع محدثه على الشروط التي ستنسحب بموجبها قوات الامم المتحدة من مصر •• ويضيف بان عبد الناصر لم يقبل بالاتفاق الا بعد نقاش حار ولكي يحصل على موافقته فقد هدده السكرتير العام ثلاث مرات بانسحاب القوات على الفور •

نصت بنود الاتفاقية بين مصر والامم المتحدة على انه لن يتم اي انسحاب ما لم تكمل البعثة مهمتها •• وفي حال طلب مصر ذلك فان القضية سترفع الى الجمعية العمومية •• فاذا اعلنت هذه الاخيرة ان المهمة انتهت، عندئذ يسير كل شيء نحو الاحسن • اما اذا حدث العكس واصرت مصر على موقفها من حيث الانسحاب رغم كل شيء فانها ستكون مسؤولة عن فسخ الاتفاقية مع الامم المتحدة • » •

ومع ان يوثانت الح كثيرا على ان مذكرة هامرشولد لم يكن لها صيغة رسمية ، تبين لنا في الحال انه سوف يبتعد كثيرا عن الطريق التي رسمها سلفه وصباح يوم اندلاع الحرب جاء الرئيس جونسون لمدة ساعة فقط واشترك في نقاشات مجلس الامن القومي وعين السيد ماكجورج باندي

على رأس بعثة خاصة وكان من بين اعضائها ريتشارد هلسس مدير المباحث المركزية • كانت مهمة البعثة العمل على تأمين سلام دائم في المنطقة تسهر امريكا على تحقيقه وتضع حدا للاعتداءات المتكررة بين اليهود والعرب • كان اندي المستشار الخاص للرئيس كندي اثناء ازمة الصواريخ السوفياتية المرسلة الى كوبا •• وعندما استقال من وظيفته كمساعد خاص وكلف بالاعمال الدولية في البيت الابيض ، عهد بوظيفته الاساسية الى والت روستو •• كان هذا الاخير يهتم جدا بشؤون فيتنام وتحدث كثيرا عن قصف محتمل لهانوي •

ولم يكن اوجين روستو اقل تفاؤلا من اخيه •• ويعتبر ذراع دين راسك الايمن •• وحتى يوم اندلاع الحرب كان روستو يبدو مقتنعا انه من المحتمل الاعتماد على الدول البحرية الكبرى كي تجد حلا لاستيلاء مصر على شرم الشيخ عند مدخل خليج العقبة •

وكبقية المستشارين في البيت الابيض ، لم يكن الاخوان روستو مرتاحين على الاطلاق لبادرة تدخل مسلح وعندما اندلعت الحرب لاحظ الكثيرون من الموظفين ، والاسى يحز في نفوسهم ، ان توصياتهم لم يعمل بها وان الذين توقعوا ان تتصاعد الازمة لم يتوانوا عن الجهر بها عاليا •• ومن بين هؤلاء المعترضين كان دافيد نس [1] القائم ، بالاعمال الامريكية في القاهرة • كان نيس واثقا ، منذ اول كانون الثاني ، ان عبد الناصر يستعد لاصطدام مسلح مع اسرائيل والغرب •• فكتب رسالة الى السناتور وليم فولبرايت ، رئيس هيئة الشؤون الخارجية في

David Nes (١)

مجلس الشيوخ ، وطلب اليه ان يسارع بالموافقة على تعيين سفير جديد للولايات المتحدة في القاهرة •

ولكن المركز بقي شاغرا ثلاثة اشهر قبل الازمة • كان نيس مقتنعا من احتمال نشوب المعارك بين الجانبين في وقت قريب جدا ولذلك سارع الى اعداد خطة تقضي باجلاء الرعايا الامريكيين عن القاهرة •• واخيرا تم تعيين السيد ريتشارد نولت [1] سفيرا في القاهرة •• وفي ٢١ ايار وصل الى العاصمة المصرية وتجمع الصحفيون من حوله يستمزجون رأيه في الأزمة •• فضحك وأجاب : « عن اية ازمة تتحدثون ؟ » • واثبت تعاقب الاحداث انه كان يجب ان يكون لدى مصر وامريكا رجالا اكثر ذكاء وحنكة من هؤلاء لمواجهة الوضع المتدهور •

اتضح لنا من تصريحات جونسون وهو يؤكد ان الولايات المتحدة تتصرف داخل الامم المتحدة كما في خارجها اي ان سياستها واحدة في الداخل والخارج ولكن الواقع كان عكس ذلك اذ لم تكن التصريحات الا مساعدة لروسيا من اجل العمل المشترك • كان السيد باندي امام عمل جبار •• ومما لا شك فيه ، بالفعل ، ان الامريكيين تبنوا سياسة مترابطة تجاه عبد الناصر •• واليست هذه سخرية في ان يتلقى عبد الناصر المساعدات الضرورية من المخابرات الامريكية مباشرة بعد ان اطاح الضباط الاحرار بالملك فاروق ؟

واذا كان عبد الناصر قد وجد مساعدة من الجهات الامريكية ، فانه مدين بذلك الى كرميت روزفلت [2] ، نائب رئيس شركة غولف للزيوت

Richard Nolte (١)

KermetRossevelt (٢)

وعميل سابق للمخابرات الامريكية وقد لعب دورا هاما في ايران بعد سقوط مصر عام ١٩٥٢ •• وروزفلت هو الذي ثبت اقدام المدعو مايلز كوبلند والذي تحدثت عنه الاذاعة البريطانية في ٧ أيار ووصفته « بالدبلوماسي القديم في الشرق الاوسط وصديق عبد الناصر الحميم »• ولم يكن في ذلك ادنى مجال للتورية فعندما كان عبد الناصر يحكم مصر على رأس مجلس الضباط الاحرار ، بعد تنحية محمد نجيب ، كان كوبلند يقيم في مكتب فخم في قصر الجزيرة بمحاذاة مكتب سيد مصر الجديد ويمارس مهامه « كخبير ومستشار » •

لم تكن امريكا ، قبل ازمة السويس ، تهتم جدا بالمصالح الانكليزية في الشرق الاوسط •• وكل ما في الامر ان الامريكيين وجدوا لزاما عليهم اتباع سياسة تختلف عن السياسة الانكليزية في المنطقة • تدنى نفوذ الانكليز الى ادنى حدوده بعد السويس وبدأ الامريكيون يشكون بصراحة في صلاحية الخدمات الانكليزية • ولو ان الدولتين الانغلو ـ ساكسونتين قبلتا بتوحيد جهودهما لاراحتا العالم من مشاكل كثيرة •• ولكن عدم التعاون الكامل مع مصر وبلدان الشرق الاوسط هو الذي قاد السير انطون ايدن ليسير في طريق مستقل عن الطريق الذي اختارته الولايات المتحدة الامريكية ويبدو ايضا ان المخابرات المركزية الامريكية كانت تعمل لحسابها الخاص دون الأخذ بآراء القادة في وزارة الخارجية •

قطع عبد الناصر علاقاته مع الولايات المتحدة عام ١٩٥٦ وذلك عندما خيب وزير خارجية امريكا جون فوستر دالس في عهد الرئيس ايزنهاور ، آمال الرئيس عبد الناصر بالحصول على مساعدات امريكية لبناء سد اسوان •• وهذا ما دفع الرئيس المصري الى تأميم قناة السويس •• واثار هذا التدبير فرنسا وبريطانيا واسرائيل في شهر تشرين الثاني • لم توافق الولايات المتحدة على التدخل العسكري في السويس وعادت تبحث

من جديد لتكسب صداقة عبد الناصر • تحسنت العلاقات بين امريكا ومصر وبلغت ذروتها في سنة ١٩٦٣ وفترت نوعا ما مع الروس رغم المساعدة التي كانوا يقدمونها لبناء السد الشهير •• ويوم كان الرئيس كندي في البيت الابيض كانت الرسائل بينه وبين عبد الناصر لا تنقطع لان الاول رأى في الثاني شخصية مهمة يجب الاحتفاظ بصداقتها والاعتماد عليها دائما •

ومع تسلم جونسون زمام الحكم عادت العلاقات المصرية الامريكية الى التدني من جديد • فقد رأى رجال العهد الامريكي الجديد ان عليهم التحول الآن نحو ملوك البترول في العالم واعتبروهم « معتدلين » •• وهكذا دعي الملك فيصل لزيارة امريكا في حزيران ١٩٦٦ • واثناء وجود العاهل السعودي في واشنطن اجتمع اليه الرئيس جونسون واعلمه ان القادة العرب لا يفهمون شيئا من السياسة الامريكية في الشرق الاوسط •• ونبه فيصل ، بدوره ، الرئيس جونسون على انه لا يجب الاعتماد على عبد الناصر ، فقد وقع هذا الاخير في احضان الشيوعية التي تزوده بالاسلحة • وبالفعل كان عبد الناصر غارقا بالديون من جراء تورطه في حرب اليمن ضد مؤيدي الامام من ناحية ثم اصابة محصول القطن بآفات زراعية ادت الى كارثة في الاقتصاد المصري ••

وتمت القطيعة النهائية بين البلدين عندما قررت امريكا وقف شحن المساعدات الغذائية الى مصر •

لم ينتظر المصريون رد يوثانت الرسمي •• ففي ١٧ أيار، الساعة الثامنة مساء ، استولوا على مراكز المراقبة التي يقيم فيها اليوغسلافيون على طول الجبهة •• وافلت الزمام من يد يوثانت •• وفي القاهرة كان محمود رياض يستقبل اعضاء الدول السبع التي لها قوات مرابطة على القناة وطلب اليهم

ان يسحبوا قواتهم فورا من المنطقة .. فوافقت يوغسلافيا والهند فورا وفي نفس اليوم ، في نيويورك ، اعلمت بعثتا الدولتين يوثانت انهما ستسحبان قواتهما عندما يطلب عبد الناصر اليهما ذلك وحسب الشروط التي يضعها، وذلك تقديرا منهما لاحترام سيادة مصر . حاول السكرتير العام التغلب على هذه المشكلة ولكنه فشل بعد نقاش استمر عدة ساعات .

وقبل ظهر اليوم الثاني طلب المصريون الى ٣٢ جنديا مقيمين في مراكز المراقبة في شرم الشيخ ، ان يغادروا مراكزهم في ١٥ دقيقة .. ولم يبلغ الطلب رسميا الى يوثانت الا عند الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم نفسه .
« تتشرف حكومة الجمهورية العربية المتحدة باعلام سيادتكم انها قررت ان تضع حدا لوجود قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة على ارض الجمهورية العربية المتحدة في قطاع غزة . لذلك نطلب اتخاذ جميع الاجراءات الضرورية لاجلاء هذه القوة ... » .

ويبدو ان يوثانت لم يجد ما يرد به على رياض سوى الموافقة على طلبه والايعاز الى قواته بالانسحاب الكلي من المنطقة .. واضاف يوثانت الى مذكرته هذه العبارة : « مهما كانت موجبات قراركم ، اسمحوا لي بكل صراحة ، ان انقل اليكم ما يساورني من قلق ازاء ذلك .. وانتم تعلمون انني كنت انوه دائما في تقاريري الى الجمعية العامة انوه واؤكد ما لهذه القوات من فعالية في الحفاظ على السلام . » .

وفي ١٩ ايار ابلغ يوثانت طلب مصر الى الجمعية العمومية واعلن ان القوات ستنسحب في الحال . وفعلا انزل العلم الابيض والأزرق وانسحبت قوة الطوارىء الدولية . انها نهاية مخجلة ولا شك .

بلغ الاستياء حده في نفوس الكنديين الذين قدموا ٨٠٠ جنديا لقوة

الطوارىء واصيبوا بخيبة امل ازاء تصرف يوثانت السريع .. ولكن البادرة جاءت من كل من الدانمارك وكندا .

وقف يوثانت يدافع عن موقفه منذ اللحظات الاولى وكانت المعارضة الذي لقيها في الامم المتحدة عنيفة جدا .. عندئذ رفع تقريرا الى الجمعية العامة التي لم تتحرك لعقد اجتماع لمجلس الأمن وجاء التقرير في ٣٢ صفحة فولسكاب وختمه بقوله : كان اعضاء هيئة الامم المتحدة منقسمين الى شيع واحزاب وهذا ما دفعني الى الموافقة على طلب مصر في الحال . وفي مساء ١٩ أيار اعلن احد المسؤولين في تل ابيب « ان باستطاعة اسرائيل رفع القضية الى الجمعية العمومية وان وجود قوات الطوارىء في المنطقة مبني على قرار من الامم المتحدة وان قرارا فرديا لا يمكن ان يلغيها .

واكد غولدبرغ ، رئيس بعثة امريكا في الامم المتحدة ، اكد ليوثانت بعد اجتماع معه دام خمسة واربعين دقيقة مساعدته المطلقة في الجمعية من اجل الحفاظ على السلام واعرب عن قلقه البالغ ازاء تفاقم الأزمة في الشرق الاوسط ومن المحتمل ان يكون موقف الاتحاد السوفياتي تجاه قوات الطوارىء الدولية قد اثر على قرار يوثانت فقد رفض الروس دائما المساهمة في دعم تلك القوات ولم يتوانوا عن التصريح دائما بقولهم ان جنود الامم المتحدة هناك هو تستر على المخابرات المركزية .

ويوم الجمعة ، ١٩ أيار ، ارجأ وزير خارجية بريطانيا جورج براون زيارته المقررة منذ مدة طويلة الى الاتحاد السوفياتي وذلك قبل نصف ساعة من الموعد المحدد لسفره .. وهذا ما دفع صحيفة « ساندي ميرر » لشن حملة عنيفة على الوزير وعادت تذكر ما ورد من انتقادات ضده في صحيفة « ساندي تلغراف » .. واجملت الصحيفة انتقاداتها في نقاط ثلاث :

١ ـ ما الذي يدفع وزير الخارجية للاعتقاد بان المساهمة الطفيفة التي سيساهم بها لتخفيف التوتر القائم على الجبهة العربية الاسرائيلية ، هي اهم من المحادثات العاجلة مع السيد كوسيغين حول فيتنام .

٢ ـ هل تأجلت زيارة السيد براون الى الاتحاد السوفياتي ام انها الغيت اساسا .

٣ ـ متى ينوي السيد الوزير نشر تصريح رسمي مفصل ومنطقي يبرر مثل هذا التحول المفاجىء ؟

ويوم السبت ، ٢٠ أيار ، انتهت اسرائيل من تجهيز قسم كبير من جنود الاحتياط وفي الوقت نفسه كان المارشال عامر يتفقد الجبهة المصرية وجيش التحرير الفلسطيني الذي حل محل قوات الطوارىء الدولية ، وبعد ذلك امر باستدعاء الاحتياط .

رحبت الهند بالأجراءات التي اتخذها الرئيس عبد الناصر واعلنت السيدة انديرا غاندي ، رئيسة الوزراء تأييدها التام للرئيس المصري في مقال نشر في جريدة « ديكان هيرالد » يوم الاحد ٢١ أيار . وأضاف المقال : ان الهند تساند جميع الدول العربية في حملتها لمساعدة سوريا .

ويوم الاثنين ٢٢ أيار ١٩٦٧ اعلنت مصر انها لن تسمح من الآن فصاعدا للمراكب الاسرائيلية بعبور مضيق تيران .. واكد ناصر ان الجمهورية العربية المتحدة قررت اغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية وكذلك بالنسبة لكل مركب يحمل مواد دفاعية متجهة الى اسرائيل .. وقال عبد الناصر بالحرف الواحد : « لن يرفرف العلم الاسرائيلي ابدا فوق مياه خليج العقبة ، ان سيادتنا على هذا الخليج

لا تناقش ، واذا هددتنا اسرائيل بالحرب فسنقول لها : حسنا ، فليكن .. اننا بانتظارك ! » .

وفي اليوم التالي كان ليفي اشكول يصرح في الكنست : « ان كل تدخل في امور الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة سيعتبر كعمل حربي . وفي نفس اليوم اعلن الرئيس جونسون ان اغلاق مضيق تيران لا يرتكز على اسس شرعية وان الولايات المتحدة اخذت على عاتقها الحفاظ على كيان جميع بلدان الشرق الاوسط ثم اضاف : « لقد راعنا رحيل قوات الطوارىء المفاجىء ودون اية حركة من الجمعية العمومية ولا من مجلس الامن » .

وعلمنا من مصدر موثوق ان جونسون بعث برسالة الى كوسيغين يطلب اليه ان يتعاونا معا لتخفيف حدة التوتر بين العرب واسرائيل وان غولدبرغ قد زود بجميع التعليمات كي ينقلها الى فيدرنكو ، ممثل روسيا في الامم المتحدة ، والتي مفادها ان الولايات المتحدة ترغب قبل كل شيء بتفادي الصدام مع روسيا .. ويوم الثلاثاء وصل يوثانت الى القاهرة فتناول طعام العشاء مع وزير الخارجية المصري ولم يستقبله عبد الناصر الا في اليوم التالي .

وضع الاسطول البريطاني في الابيض المتوسط في حالة تأهب وقررت الحكومة الانكليزية ارسال جورج تومبسون وزير الدولة الى واشنطن ونيويورك .. اما بالنسبة لجورج براون فبعد ان حضر اجتماع مجلس الوزراء عاد واستقل الطائرة الى موسكو .. وعلقت جريدة الغارديان على زيارة يوثانت وجورج براون بقولها : « يحق ليوثانت ، بعد « اندحار جيشه » . ان يذهب الى القاهرة وهو المكان الفعلي الذي يستطيع فيه ان يؤثر على مجرى الاحداث في الشرق الاوسط . واليوم كذلك اغتنم السيد براون احسن فرصة للتأثير على الوضع بذهابه الى الاتحاد السوفياتي

والتحدث الى الروس الذين لعبوا دورا كبيرا في تقوية مصر وسوريا على الصعيد العسكري • ولو ان السيد براون سافر قبل عطلة الاسبوع لفوّت على نفسه الوقوف على مجرى الاحداث واكتفى بنزهات سياحيه بالقرب من موسكو • سيمكث في العاصمة وقتا قصيرا ولكن زيارته ستؤدي الى نتائج مثيرة •

وفي ٢٣ أيار كان السيد ادوار هيث [١] ، احد اعضاء حزب المحافظين، يحث الحكومة البريطانية ان تعمل سريعا وتبذل جهودها لعودة قوات الطوارىء الدولية الى مراكزها وختم خطابه بقوله : « يبدو ان الامم المتحدة قبلت بجلاء القوة المخصصة للحفاظ على السلام في المنطقة نسبيا ودون ان تناقش الموضوع من بعيد او قريب •• كان يجب الا توافق على طلب الجمهورية العربية المتحدة قبل ان تعود الى مجلس الامن اذا ما فشلت الجمعية العمومية باتخاذ القرار المناسب •• » وعلى الحكومة البريطانية ان تتصرف بسرعة وتبادر الى طلب انعقاد مجلس الامن في الحال • » وبعد ظهر اليوم نفسه كان هيث وهيوم يقومان بزيارة الى رئيس الوزراء في مكتبه في داونغ ستريت ويسألانه كيف ستؤمن الحكومة حق الملاحة في خليج العقبة ومرور السفن الانكليزية ، وما هو اثر ذلك على الملاحة التجارية البريطانية •• وعاد هيث يلقي خطابا جديدا في المساء ويقول : ان قول الحكومة وتصميمها على الاحتفاظ بحقوقها لا يكفيان •• يجب على رئيس الوزراء ان يذهب الى ابعد من ذلك ويقدم الوسائل الكفيلة بفرض الاحترام •• ولا تستطيع الحكومة التنصل من مسؤولياتها•

وفي نفس الوقت ، في بكنهام ، كان هيوم يدلي بالتصريح التالي : « لقد اعلنت الولايات المتحدة ان خليج العقبة يجب ان يبقى ممرا مائيا

(١) Edward Heath — رئيس وزراء بريطانيا حاليا .

دوليا ، انهم محقون في ذلك • لم يفهم الامريكيون في سنة ١٩٥٦ انه يجب الحد من التوسع المصري •• ولكنهم بدأوا يفهمون ذلك الآن •• علينا ان نساندهم من اجل تأمين حرية الملاحة الدولية » •

وفي اليوم التالي قام هارولد ويلسون بزيارة الى مؤتمر عمال الكهرباء السنوي المنعقد في مارغات وهناك وجد الفرصة مؤاتية ليؤكد لهم حق مرور اية سفينة انكليزية في مضيق تيران ، الطريق الدولي •• ثم أضاف ان بريطانيا على استعداد للانضمام الى اية دولة اخرى لتأمين مثل هذا الحق المشروع •

بدأ الرأي العام الانجليزي يميل الى تأييد اسرائيل •• وقد عبرت عن ذلك صحيفة التايمز البريطانية في مقال لها نشر في ٢٧ أيار تحت عنوان: « القانون وخليج العقبة • » • وهذه ترجمة حرفية للمقال :

« انّ ادعاء مصر بالاستيلاء على مضيق تيران يمس دولة اسرائيل في الصميم • ففي اقصى الشمال يوجد بالفعل ميناء ايلات وهو الميناء الوحيد الذي يسمح لاسرائيل بالانطلاق الى الشرق المنفذ الوحيد لتزويدها بالبترول • اما الضفة الغربية من الخليج فهي تابعة لمصر والضفة الشرقية تابعة للمملكة العربية السعودية وليس هناك سوى الساحل الشمالي المقسوم ما بين الاردن واسرائيل ، يبلغ طول الخليج حوالي المائة ميل ويتراوح عرضه ما بين سبعة عشر وعشرين ميلا • ويسمح مضيق تيران لمصر بادارة الملاحة مؤكدة حقوقها على المياه الاقليمية عند مدخل الخليج • ان مسألة سيطرة دولة على ممر مائي حيوي بالنسبة لدولة أخرى قد سويت منذ زمن طويل في القانون الدولي • واشهر مثل نعطيه على ذلك هما الدردنيل والبوسفور •• فقد سقطت هذه المضائق الشهيرة عام ١٤٥٣ تحت السيطرة التركية الكاملة بعد الاستيلاء على القسطنطينية ولم يسمح

للسفن الروسية ان تعبرهما الا في سنة ٧٧٤ . « ثم بدأ النقاش حول مزاولة هذا الحق وخاصة فيما يتعلق بالسفن الحربية .. وتوالت شروط اعداد المعاهدات وتوقيعها طيلة القرن التاسع عشر معبرة عن قلق الدول المعنية وادى هذا الى توسع مبادىء حرية الملاحة وارسائها ووقع حدا لاحتمال قيام دولة تحد من حرية دولة اخرى . وعند سقوط الامبراطورية العثمانية انشئت مؤسسة دولية مهمتها السهر على دستور المضائق الذي حددته معاهدة لوزان سنة ١٩٣٢ واتفاقية مونترو (Montreaux) .. ولا زالت الاثنتان ساريتا المفعول ، واستنادا الى اتفاقية جنيف لا يحق لمصر وحدها السيطرة على مياه الخليج فان ما ينطبق على خليج العقبة ينطبق ايضا على ميناء ايلات . وعندما تؤكد مصر انها في حالة حرب ضد اسرائيل ، فهي تخرق قرار مجلس الامن المتعلق بالهدنة العربية الاسرائيلية وتنادي بالبقاء في حالة عداء دون الافصاح عن امكانية التوصل الى تسوية .. وتنظر مصر الى الاتفاقية المعدّلة بناء على قرار اثنين وعشرين دولة وفي طليعتها الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا ، كما كانت تنظر اليها منذ قرنين من الزمن ، فالفاعلية هي هي لم تتغير ابدا .

ان اعطاء مصر حقوقا وصلاحيات مطلقة على مضيق تيران هو مخالفة صريحة للمبادىء الدولية المعمول بها حتى يومنا هذا . ويمكن اذن اغلاق البلطيق في وجه الملاحةالدولية اذا قررت الدانمارك والسويد وضع التعليلات المصرية لاغلاق مضيق تيران ، موضع التنفيذ . يحق لاسرائيل ان تطالب بحرية الملاحة في تيران كما يحق لبريطانيا وامريكا وان القانون الدولي سيقف حتما الى جانب هذه الدول . » .

ومن العبث ان نؤكد على مصالح مصر ، حقوقيا ، وصحتها في قضية مضيق تيران . ويؤسفنا القول انه لم يكن هناك محكمة دولية غير متحيزة

يسكن طرح الخلاف امامها .

لقد اجاد السيد طايب الشهيب ، مثل الجامعة العربية ، في عرض القضية المصرية في رسالة بعث بها الى جريدة التايمز في ٢٩ أيار وقد لخصها في نقاط اربع هامة :

١ — ان وجود « جبهة » مع اسرائيل على خليج العقبة هو نتيجة مباشرة للقوة ، يتناقض كليا مع مشروع تقسيم فلسطين الذي اقرته الامم المتحدة عام ١٩٤٧ .وان احتلال اسرائيل لمرفأ ايلات على ساحل تلك المنطقة يكوّن مثلا للسياسة التوسعية التي تتبعها اسرائيل رغم قرارات الامم المتحدة .

٢ — ان مدخل خليج العقبة اقل من ١٢ ميلا ومعنى هذا انه دون العشرين ميلا المحددة دوليا كمياه اقليمية .وبسبب حالة الحرب القائمة بين مصر واسرائيل منعت السفن الاسرائيلية من عبور مضيق تيران حتى ١٩٥٦ ، وان هذا المنع معترف به قانونيا . وابتداء من عام ١٩٥٦ بدأت السفن الاسرائيلية تمر وكان ذلك نتيجة العدوان على السويس ضد مصر والذي ادانته الامم المتحدة بعنف واوجبت تصفية آثاره كليا . وليست هناك من قاعدة في القانون تسمح للمعتدي ان يحتفظ بثمار عدوانه .

٣ — لم تكف اسرائيل عن الاستهزاء بقرارات الامم المتحدة وتسخر من جهود المنظمة الدولية الرامية الى الحفاظ على السلام . فقد رفضت قبول قوات دولية فوق ارضها ، ومن جهة حدودها معنا ، عام ١٩٥٧ وقاطعت بعثة الامم المتحدة المشتركة .

٤ — ان اعتداءات اسرائيل الحربية ضد عدد من جيرانها العرب — وقد ادانها مجلس الأمن ست مرات — ما هي الا مثل على شريعة الغاب

التي تتبعها اسرائيل ٠ ان نداءاتها الى التروي ، باسم احترام الشرعية والقانون الدولي ، هي مجرد توريات واعتبارات عدوانية ٠

وفي ٢٤ أيار اتفقت الولايات المتحدة وبريطانيا على وجوب فتح خليج العقبة امام الملاحة الدولية ٠ « ولا يمكننا استبعاد احتمال تدخل عسكري» ٠٠ لا سيما ان الاسطول السادس الامريكي قد وقف على اهبة الاستعداد في الابيض المتوسط ليساعد المحاولات الدبلوماسية الرامية الى فك حصار الخليج ، ولكن مصر اعلنت ان الحصار قد تم وان الالغام قد زرعت ٠٠ وان المدافع المضادة للطائرات وغيرها على استعداد لضرب جميع المحاولات وان قواتها البحرية في حالة تأهب ٠

وبناء على طلب كندا ، عقد مجلس الامن جلسة عاجلة ليدرس الوضع المتدهور في الشرق الاوسط والذي يشكل تهديدا للسلام والأمن الدوليين» وبعد الاجتماع الحت روسيا على انسحاب الاساطيل الامريكية والانكليزية من البحر الابيض المتوسط ٠٠ وفي عمان اعلنت الحكومة الاردنية بالسماح للجيوش العراقية والسعودية ان تدخل البلاد للدفاع عن الأمة ٠

وصدرت الاوامر الى حاملة الطائرات البريطانية ـ وكانت في طريقها من الشرق الأقصى الى بريطانيا مرورا بالبحر الأبيض المتوسط ـ صدرت اليها الاوامر بالتوقف في مالطة والبقاء هناك على اهبة الاستعداد وحتى اشعار آخر ٠

وفي ٢٥ أيار استمرت الحمى تتصاعد في اسرائيل ووجد رئيس وزرائها ليفي اشكول نفسه مجبرا على ترك اسرائيل تخوض المعركة بنفسها ٠ وطار الرئيس جونسون الى كندا ليتباحث مع ليستر بيرسن في الوضع وعاد الى واشنطن في مساء نفس اليوم ٠ ومن جهة اخرى وصل الى

موسكو وزير الحربية المصرية على رأس وفد يتألف من ثلاثين عضـوا للحصول على التأييد الروسي والمزيد من الاسلحة ، وقد استقبل الوفد وزير الدفاع السوفياتي المارشال غريتشكو ٠

وفي مساء اليوم نفسه غادر أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، غادر تل ابيب متجها الى واشنطن بطريق باريس ولندن ليقابل الرئيس جونسون ويحضر اجتماع مجلس الأمن ٠٠ وفي باريس اطلق الجنرال ديغول فكرة اجتماع قمة للدول الأربعة الكبرى وتبنت الحكومة الامريكية الفكرة وايدتها ، وعلمنا في اليوم التالي ان الروس استبعدوا احتمال عقد مثل هذا الاجتماع ٠٠ هبط ايبان في واشنطن ليتحدث الى وزير الخارجية دين راسك ٠ وقبل ان يتابع سفره الى لندن اعلن الى الصحافة ان هدف رحلته هو « التعرف بالضبط اذا كانت الدول التي ورطت نفسها بالمطالبة بحرية المرور في مضيق تيران ، تنوي اولا القيام بهذا التعهد » ثم اضاف ان خليج العقبة حيوي جدا لبلاده وان جميع البترول المصدر الى اسرائيـل يصب في ايـلات ٠

بعد انتظار يوم بكامله قبل جونسون ان يستقبل ايبان ٠ امتعض الرئيس الامريكي عندما شاهد الاسرائيلي يخرج من جعبته ملفا ضخما حيث رأى الدليل على ان الولايات المتحدة قد تعهدت بالفعل ان تدعم مبدأ حرية الملاحة في خليج العقبة ٠ وبين تلك الوثائق كان نص خطاب القاه سلف ايبان ، غولدا مائير امام الجمعية العامة للامم المتحدة في اول آذار ١٩٥٧ ٠٠ وتضمن الخطاب شروط اسرائيل للانسحـاب من شرم الشيخ ٠

نوقش النص اولا بين ايبان ، سفير اسرائيل في واشنطن آنذاك ، وجون فوستر دالس وان هذا الاخير صحح النص بخط يده ٠ وعندما انتهت

مائير من القائه لاقى استحسانا لدى كابوت لودج ، الذي كان يومئذ يرأس بعثة امريكا في الامم المتحدة .

واثناء اجتماعهما الذي استمر ٨٥ دقيقة وجد ايبان الفرصة ملائمة ليذكر الرئيس جونسون ، يوم كان الناطق باسم الديموقراطيين في مجلس الشيوخ ، بموقفه الى جانب اسرائيل وكيف انحى باللائمة على دالس لمجرد اقتراحه بفرض عقوبات اقتصادية ضد اسرائيل ليرغمها على اخلاء المناطق التي رفضت الانسحاب منها .

ورد جونسون على محدثه بهذه العبارة : « اصر على ان العلم الأزرق والابيض يجب ان يمر في المضائق » ولكنه لم يحدد بالضبط كيف .. وعلى الصعيد الداخلي كان وضع جونسون حرجا جدا .. فقد اكتفى ، حتى ٢٣ أيار ، بالتأكيد على ان مضيق تيران يكون ممرا مائيا دوليا .. فمن جهة كان عليه ان يتعرض للانتقادات اللاذعة من الاحرار والمحافظين المؤيدين لاسرائيل اذا صرف النظر عن فتح المضيق ، ومن جهة اخرى هو ان الكونغرس عارض تدخل امريكا الجانبي .. فحرب واحدة قائمة الآن تكفي .. واعلم جونسون ايبان انه يجب اولا التقدم من مجلس الشيوخ بقرار يمكنه نجدة اسرائيل .. كان ايبان يعلم ، بحكم الخبرة واقامته في واشنطن عدة سنوات ، ان القرار يتبعه نقاش قد يستمر ويطول ، بينما التوتر في الشرق الاوسط لا يزال يتفاقم وان الوضع سينفجر بين حين وآخر .

مر كل شيء وكان جونسون قد قرر الايفاء بوعده ورغبته تفادي الاصطدام مع الاتحاد السوفياتي .. لم يكن موقف الروس مشجعا بالفعل كما تدل على ذلك التقارير التي قدمها ارثور غولدبرغ عن محادثاته مع

فدرنكو ، زميله الروسي في الامم المتحدة ومع ويلن تومبسون (١) ، سفير الولايات المتحدة في موسكو .. ولكن توقع التوصل الى تسوية كان مستبعدا جدا . ولذلك لم ير جونسون وويلسون الا احتمال واحد هو اعداد تصريح توقعه الدول البحرية مطالبة بحق المرور في مضيق تيران .

وهنا طلب الى ايبان ان يصبر ويمنح واشنطن فرصة ١٠ او ١٥ يوما لتسوية الوضع .. وكانت المفاجأة : وهو ان جميع الدول البحرية ، لم تكن تنوي ان تتورط مع البلدان العربية .. ومع ذلك كان الوزير الاسرائيلي على اقتناع تام بانه سيحصل على بعض النتائج من المفاوضات .. فقد اعلن لنا منذ نهاية الحرب انه قادر جدا على المحافظة على شهرة دولة اسرائيل .. رغم انها كانت تتعرض لتهمة استباق الاحداث اذا هي قررت الضرب في الحال .

غادر ايبان واشنطن الى اسرائيل يوم ٢٧ أيار واثناء توقفه في باريس اعلن للصحافيين : « انتهيت من جولة استكشافية لاتعرف الى وجهة نظر الدول الثلاثة الصديقة حول الاجراءات التي اتخذتها مصر في مضيق تيران .. ولا يمكن للسلام ان يتعايش مع حصار غير مشروع . واعلنت عن هذا الى القادة الفرنسيين والانكليز والامريكيين .. انها تمثل الحكومات الثلاث التي تعهدت ، منذ عشر سنوات ، بالمحافظة على الطابع الدولي لهذه الطريق المائية ... » .

كان المشروع المقترح هو ارسال وحدة بحرية صغيرة الى المضيق لتفك الحصار المصري وان تحمل راية الامم المتحدة او راية الدول البحرية التي ستقبل بالاشتراك في العملية . وكانت هناك مشاريع اخرى قيد الدرس .. منها ان تعبر الممر ناقلة بترول تحمل العلم الاسرائيلي ..

(١) Llewellyn Thmpson

وترافقها وحدة بحرية او ان تواكب مجموعة من السفن الاميركية وكذلك الانكليزية مركبا يخفق فوقه العلم الاسرائيلي حتى مرفأ ايلات مرورا بالمضيق •• وظنوا ان وجود هذه القافلة سيقنع المصريين بعدم اطلاق النار •• واذا حدث العكس فان الوحدة الاسرائيلية هذه سترد بالمثل •• وتسكت نيران مدافع المصريين في شرم الشيخ •

واثناء الفترة التي امتدت من لقاء جونسون ــ ايبان حتى سفر ويلسون الى واشنطن ، كان الوضع في الشرق الاوسط يأخذ دورا مصيريا • وفي ٢٦ أيار كان الرئيس عبد الناصر يعلن في خطاب له امام قادة اتحاد العمال العرب انه اذا ما نشبت الحرب فستكون شاملة وان هدفها الوحيد هو تدمير اسرائيل • اننا واثقون من النصر •• مستعدون للحرب •• ولن تكون هذه المرة كما كانت عام ١٩٥٦ ، لاننا آنذاك لم نكن نحارب ضد اسرائيل ، بل ضد فرنسا وانكلترا • وتحدث عبد الناصر عن الولايات المتحدة على انها العدو الهام ثم أضاف : « لا يستطيع ويلسون ان يفعل شيئا ما لم يحصل على الاوامر من جونسون » • وفي وقت سابق كان وزير الاوقاف المصري يزود خطباء المساجد بالمعلومات ويطلب اليهم ان يجعلوا موضوع خطبهم الجهاد وانه لشرف عظيم ان يستشهد الانسان في ساحة المعركة المقدسة وحث بابا الاقباط الشعب على الاستعداد للمعركة من اجل استعادة فلسطين وتخليصها من الذين صلبوا المسيح • » ولا نظن ان مصر شهدت موجة من الحقد التعصبي كما تشهد الآن وعاشت تنتظر المعركة وقد اطلقت على اسرائيل اسم « العدو » •

قلقت الدول الكبرى من جرأة عبد الناصر الذي بدا وكأنه تخلى عن كل روية •• وفي اليوم الذي اعلن فيه الرئيس قراره الآنف الذكر كان الرئيس جونسون يوجه الى سفير مصر في واشنطن مذكرة يدعو فيها مصر الى التعقل وعدم اطلاق النار ، وفي نفس الليلة ، الساعة الثالثة والنصف

صباحا ، اتصل السفير السوفياتي بالرئيس عبد الناصر ونصحه بالحاح الا يكون البادىء بالاعتداءات •

واستنادا الى صحيفة واشنطن بوست الصادرة في ١٥ حزيران ، كان الروس على حق في تصرفهم بهذه الطريقة •• فهم يودون تجنب المجابهة ويدركون تماما عدم استعداد مصر لخوض المعركة •• وعندما زارت بعثة تفتيشية سوفياتية المطارات المصرية وجدت ان بعض الطيارين لم يشتركوا في المناورات منذ ايام وان طائراتهم كانت محشودة في نقاط تجعلها لقمة سائغة في فم العدو ••

وشك الاخصائيون في المسائل البحرية ان بامكان البحرية المصرية لغم مضيق تيران نظرا للتشابكات العائدة لعرض وعمق الطريق المائي •

وبعد مغادرة ويلسون لندن الى موسكو بساعتين كان الاتحاد السوفياتي يصدر مذكرة يهاجم فيها اسرائيل الجانية ويتهمها بانتهاج سياسة معادية للدول العربية •

كتبت الدايلي تلغراف في افتتاحية عدد يوم السبت ٢٧ أيار تقول :

« يبدو ان زيارة براون الى موسكو لم تعط اية نتيجة وقد ارجئت مرتين مع العلم ان ويلسون اثناء اقامته هناك لم يبحث سوى موضوع الشرق الاوسط •• ومن الواضح ان ما قيل لويلسون هو ان الروس قانعون بانهم لن يخسروا شيئا بل على العكس سيستفيدوا من تردي الوضع •• وخاصة اذا منيت اسرائيل بخسائر فادحة •• والشرط الاساسي والاهم هو الا يكون هناك حرب عالمية •

عاد يوثانت الى واشنطن من رحلته الى القاهرة مساء الاربعاء في ٢٧ أيار دون ان يفصح عن نتائج رحلته وقدم تقريره الى مجلس الامن •

يقول بوثانت ان الرئيس عبد الناصر والدكتور رياض اكدا له ان مصر لا تنوي القيام باي عمل عدواني •

كان هدف المصريين : « عودة الى الشروط السابقة لعام ١٩٥٦ والاحترام التام من كلا الفريقين • » •

وجاء من باريس ان الجنرال ديغول بعث برسالة الى الرئيس عبد الناصر يطلب اليه ان يكون اكثر اعتدالا وروية •

وكان الرئيس المصري قد هنأ الجنرال ديغول على موقفه يوم رفض اتباع خط السياسة الانكلو ـ امريكية •• ويبدو ان هذه الرسالة لم تترك اثرا كبيرا لان الرئيس عبد الناصر هدد في مؤتمر صحافي عقده يوم الاحد في ٢٨ أيار باقفال القناة اذا نشبت الحرب بين العرب واسرائيل واذا تدخلت الدول الأخرى في الموضوع •• وقال : « اننا نمارس سلطتنا الشرعية وكامل حقوقنا على مضيق تيران الواقع ضمن مياهنا الاقليمية • ولا يستطيع أي بلد ، مهما بلغت قوته ، ان يمس سيادة ارضنا وحقوقنا • ان القيام بهذا معناه الاعتداء على الشعب المصري وعلى الشعوب العربية قاطبة وسيعود على المعتدي بعواقب وخيمة •• ستستمر الملاحة في قناة السويس اذا نشبت الحرب بين العرب واسرائيل اما اذا تدخلت دول اخرى في شؤوننا فعلى السويس السلام • » •

وفي نفس اليوم كان شمس بدران ، وزير الحربية المصرية يغادر موسكو بعد زيارة استمرت اربعة ايام عقد خلالها محادثات مع الزعماء السوفيات ومع وزير الدفاع السوفياتي المارشال غريتشكو •

كان عبد الناصر يكوّن فكرة خاطئة عن قوة اسرائيل الحربية نظرا

للمعلومات غير الأكيدة التي كانت تزوده بها مخابراته المتفككة • وليست هناك من اسباب واهية توضح لنا ان عبد الناصر كان يسعى فعلا للتسبب بصراع مسلح •

تحدثت الصحافة القاهرية بعنف عن زيارة ابا ايبان الى العواصم الغربية •• وقالت الصحف ان بريطانيا وامريكا بدأت تتراجع عن التفكير باعادة فتح القناة واضافت بان العدو الحقيقي هو امريكا وحليفتها انكلترا وليست اسرائيل • اثار مشروع تصريح مشترك للدول البحرية اثار بعض القلق ولكنه دخل فيما بعد عالم النسيان • كان احسن المراقبين في مصر يفكرون بان عبد الناصر قد كسب المعركة ، من الناحية السياسية ، ضد اعدائه الحقيقيين : الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا • وعندما اعلنت واشنطن موافقتها على استقبال زكريا محي الدين يوم ٤ حزيران ، نظر المراقبون الى هذه البادرة على انها رغبة بالتعقل والروية •

تركت الأزمة ردة فعل عنيفة في البلدان العربية الأخرى وخاصة فيما يتعلق بشحن البترول الى الدول الانكلو ـ ساكسونية • واذاع راديو بغداد ان العراق قررت فرض الحصار على شحنة بترول الى بلد يساند العدوان المدبر ضد اية دولة عربية •• وهددت الكويت بوقف شحن النفط في حال وقوف الدول الغربية الى جانب اسرائيل •• مع العلم ان اقتصاد انكلترا وكل اوروبا الغربية وقف على شحن البترول العربي •• ومما لا شك فيه ان استثمار البترول قد تزايد في افريقيا ولكن اهم مصدرين له هناك هما ليبيا والجزائر وهما بلدان عربيان ايضا وعلى استعداد لمناصرة مصر ودعمها ضد الغرب •

ومنذ احدى عشر سنة مر ٨٠٪ من بترول العرب الى اوروبا في قناة السويس ولكنه تدنى اثناء الأزمة حتى بلغ نسبة ٦٠٪ فقط •

ويوم الاثنين ٢٩ أيار وفي اجتماع عاجل لمجلس الامن في نيويورك اقترحت الولايات المتحدة الامريكية ان تطلب الى مصر السماح باستعمال مضيق تيران مدة وجيزة كي يتسنى للامم المتحدة ان تجد حلا للازمة ‎٠٠‎ ورد المندوب المصري قائلا ان سيادة مصر على المضيق تعود الى العرب تاريخيا ‎٠٠‎ وهكذا فشل الاقتراح الامريكي ولم تصوت الجمعية العمومية عليه ٠ وفي القدس كان ليفي اشكول ينتظر بحرارة ان يرى امريكا وانكلترا وبقية الدول تسارع الى العمل وتفك الحصار على المضيق ٠ وقال ان جميع هذه الدول تعهدت بتأمين حرية المرور البحري المهدد اليوم وان واجبنا هو تنفيذ هذه الوعود وسنرى بعد قليل اذا يمكن الاعتماد على ما وعدت به ٠ » وبعد رحيل جنود الامم المتحدة ، قبل عشرة ايام ، بدأت اسرائيل تبعث بدورياتها الى غزة منذ عام ١٩٥٦ ‎٠٠‎ واعقب اعلان اشكول تبادل اطلاق النار في المنطقة وذلك للمرة الاولى منذ عشرة سنوات تقريبا ٠

وفي ٢٩ أيار اعلن عبد الناصر في القاهرة انه سيجبر على اعتبار امريكا وبريطانيا اعداء له اذا هما انحازا الى الجانب الاسرائيلي ٠ وبعد ان خوله مجلس الامة الصلاحيات الكاملة وقف يخطب ويقول : « اذا كانت الدول الغربية ستستهين بنا وتحاول ان تحرمنا من حقوقنا فسنعلمها كيف تحترمها ‎٠٠‎ اننا لا نجابه اليوم اسرائيل بل الذين يقفون وراء اسرائيل ٠ اننا نجابه الذين اوجدوا اسرائيل ٠ » وردا على سؤال عن الوضع العسكري أجاب عبد الناصر : « ان استعدادات الجمهورية العربية المتحدة وحلفائها من اجل تحرير فلسطين قد اكتملت ٠ » ٠

وفي ٣٠ أيار ، يوم الثلاثاء ، ابلغت روسيا تركيا انها تنوي ارسال ١٠ سفن حربية في الاسبوع القادم الى الابيض المتوسط عبر البوسفور ٠ وبموجب اتفاقية مونترو يحق للسفن الحربية ان تعبر المضيق شرط اعلام

الحكومة التركية قبل ثمانية ايام ‎٠٠‎ وبناء على هذه المعلومات ، اعلنت صحيفة الاهرام ، شبه الرسمية ، ان سفينة امريكية تحمل العلم الليبري تشق طريقها وتستعد لدخول خليج العقبة بعد ان رفضت الانصياع للتنبيه ‎٠٠‎ ولكن واشنطن والسفارة الامريكية في القاهرة نفتا ان يكون عندهما علم بذلك ٠

وفي القدس ، عقد ليفي اشكول مؤتمرا صحفيا واعلن ان اسرائيل لا ترفض اي حل يضمن حرية الملاحة في مضيق تيران لجميع السفن ٠ أضاف الرئيس الاسرائيلي اننا سنتصرف بانفسنا عندما تدعو الضرورة وذلك من اجل فك الحصار ‎٠٠‎ ولكننا سنتعاون مع الآخرين اذا كان ذلك معقولا ٠

واهم حدث وقع يوم ٣٠ أيار هو وصول حسين ملك الاردن الى القاهرة حيث وقع معاهدة دفاع مشترك مع الرئيس عبد الناصر بعد اجتماع بينهما دام ست ساعات ٠ ادهش هذا التحول العالم كله على الصعيدين الداخلي والخارجي ‎٠٠‎ اذ كان الرئيس على عداء مستمر منذ مدة طويلة وقد اتهم عبد الناصر الملك حسين بخيانة القضية العربية ٠ وفي اليوم الثاني وقف الجنرال عارف يؤيد الاردن بعد ان رفض ارسال جنوده الى هناك رغم طلبات الملك حسين والحاحاته ‎٠٠‎ وهكذا دخلت القوات العراقية الى الاردن ‎٠٠‎ ورأى الحكام اليساريون في سوريا ان هذه المعاهدة ستجعلهم في المؤخرة فاستشاطوا غضبا ووصفوا الاردن بانه بؤرة للمؤامرات والخيانة ٠

واثناء ذلك كان احمد الشقيري ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، يؤكد انه من المحتمل ، وربما من الافضل ، ان رجاله هم الذين سيفتحون النار ‎٠٠‎ واذا احتل العرب اسرائيل فانهم سيساعدون اليهود على العودة الى بلادهم ، وختم تصريحه بقوله : « وفي رايي ، لن يكون هناك احياء على الاطلاق ٠ » ٠

وتجدر الملاحظة الى ان الحكومة الالمانية قد عادت عن رفضها بيع كمامات الغاز الى اسرائيل وقررت ارسال ٢٠ الف واحدة منها باسرع وقت •• واوضحت حكومة بون بان الكمامات ستستعمل فقط للحفاظ على حياة الناس وانها لا تقع تحت وطـأة قرار مجلس حلف الاطلسي القاضي بمنع شحن المواد الحربية الى بلدان الازمة •

سارعت المعاهدة الاردنية ـ المصرية بدفع عجلة الحرب وبددت كل احتمال للتسوية السلمية • ومن الناحية الاستراتيجية لم يكن من الممكن ان تتغاضى اسرائيل عن مثل هذا التحالف ••

وهكذا احكمت الدول العربية الحصار على اسرائيل وباتت ازمة الشرق الاوسط تهدد بالانفجار بين لحظة واخرى •

الفصل الثالث

اسرائيل تقرر الهجوم

بينما كانت الاشياء تتطور ببطء في واشنطن وفي الامم المتحدة ، كان الوضع في الشرق الاوسط يزداد تدهورا حتى ان مؤيدي التسوية الدبلوماسية قد وجدوا الاحداث تستبقهم •• وفي الوقت نفسه كان الرئيس جونسون ورئيس وزراء بريطانيا يجوبان العالم بحثا عن تأييد بقية الدول البحرية واجبارها على تبني مشروعهما القاضي بفتح المضيق بالقوة اذا دعت الحاجة ، ولكن المشروع الامريكي فشل ووضع على الرف • كانت اسرائيل امام اربعة اوضاع حاسمة بالنسبة للدول العربية وقد تلخصت الاوضاع على الشكل التالي :

أ ـ حصار المضيق •
ب ـ حشد القوات المصرية في صحراء سيناء •
ج ـ معاهدة الدفاع الاردنية ـ المصرية •
د ـ دخول القوات العراقية الى الاردن •

من كان يحلم ان الاردن سيقع في قبضة عبد الناصر والملك حسين في الحكم ؟ انما هكذا كان الوضع وخاصة بالنسبة لما يتعلق بقيادة القوات المسلحة •

كان الوضع صعبا جدا على اسرائيل التي رأت ملاحتها تتعرض للخطر وان البلدان العربية تحيط بها من جميع الجهات •

لا يمكن ان تستمر اسرائيل الى الابد في حالة تأهب مع العلم ان نسبة الجنود فيها هي ٤ من ٥ اي في كل خمسة مدنيين يوجد اربعة منهم

تحت السلاح •• ومنذ آخر أيار اقفلت محلات كثيرة ابوابها وانشلت حركة الزراعة وتحولت المعامل الى مستودعات اسلحة •• وكان طبيعيا ايضا ان تستمر اسرائيل هكذا ما دامت مهددة من جيرانها العرب في اية لحظة •• ادى هذا الوضع الى ازدياد التذمر والانفعال في البلاد وخاصة في صفوف الجيش • كان الشعب يلح ويطالب باتخاذ قرار ووضع البلاد تحت امرة رجل يتمتع بثقة الجميع • اثناء سنوات طويلة كان بن غوريون يجمع بين مركزي رئيس الوزراء ووزير الدفاع وهو الذي طمأن الاسرائيليين واعاد الثقة بالامن الى نفوسهم • وها هي اسرائيل الآن ،بعد عشر سنوات من السلم ، تواجه اعنف ازمة منذ حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ حيث كان يموت واحد بالمئة دفاعا عن الدولة التي خلقها في فلسطين بعد قرون من التشرد في جميع انحاء العالم •

وامام هذه الازمة العاصفة كان شعب اسرائيل يبحث عن رجل : انه موشي دايان قائد معركة سيناء عام ١٩٥٦ • فقد وجدوا فيه الكفاءات والمعلومات المطلوبة للحكم على الوضع واتخاذ القرارات الحاسمة • كان دايان احد الرجال النادرين والذي قبلت به اسرائيل ليقرر الحرب او لينتظر •

يعتبر دايان بطلا وطنيا وهو مجد وفخر اسرائيل • فقد ولد في فلسطين عام ١٩١٥ والتحق بمنظمة الهاغانا وهو في سن الرابعة عشرة وقد حكم عليه الانكليز بالسجن عشرة سنوات نظرا لنشاطاته السرية وبعد سنة اطلق سراحه والتحق بالجيش الانكليزي ، ثم اشترك اثناء الحرب العالمية الثانية في عملية فدائية ضد قوات فيشي في سوريا وهناك خسر عينه اليسرى ومنذ ذلك الحين وهو يضع ضمادة سوداء جعلته شهيرا جدا • ثم قاد عملية اخرى على رأس فرقة مدرعة اثناء حرب الاستقلال واشتهر عالميا عام ١٩٥٦ عندما قاد القوات الاسرائيلية في حرب سيناء •

وفي عام ١٩٦٠ انتخب دايان نائبا في البرلمان الاسرائيلي وعين وزيرا للزراعة في حكومة بن غوريون •• وعندما انفصل هذا الاخير عن حزب الماباي سنة ١٩٦٥ والف حزبا صغيرا انضم اليه دايان • يحدثنا سيمون بيرس ، احد اعضاء الحزب الجديد البارزين ،عن المشاكل الرئيسية التي واجهت اسرائيل قبل الحرب فيقول :

« كان علينا حل مسألتين : الاولى قرار التصرف ام الصمت • والثاني : معرفة من سيتحمل مسؤولية مثل هذا القرار المصيري • كان الغضب يتزايد في البلاد ليس فقط لان الحكومة لم تقرر الحرب بعد بل لانها لم تتخذ اي قرار على الاطلاق • » •

لم يكن انقسام الاسرائيليين عائدا الى الانضمام الى حزب معين •• بل يلاحظ ان الاختلافات في الرأي كانت في ذروتها بين « سابراس » (١) أي اليهود المولودين في اسرائيل نفسها وبين اولئك الذين كانوا يطلقون عليهم باحتقار اسم « يهود الغوستابو » (٢) • وهم يتألفون من لاجئي اوروبا والفارين من المعسكرات النازية • كان يهود «السابراس» يظنون ، فعلا ، ان اليهود الاوروبيين يتصفون بالجبن بعد ان تاهوا في العالم قرابة الفي سنة وانهم يتكلون على الغير ليدافع عنهم بدل ان يدافعوا هم عن انفسهم •• ويؤكد السابراس انه كلما كانت اسرائيل تتعرض للخطر ، كانت ردة الفعل الطبيعية عند اليهود الاوروبيين ان يوكلوا الى الدول الغربية امر حمايتهم •• ويقال انه هذا هو السبب الوحيد الذي جعل اسرائيل تلجأ الى فرنسا وانكلترا عام ١٩٥٦ ومن اجله ايضا كانت حكومة ليفي اشكول تأمل من امريكا ان تسارع لفك حصار مضيق تيران •

---

(١) Sabras

(٢) Juifs bu Ghetto

وفي ٢٤ أيار استطاع سيمون بيرس ان يؤلف تحالفا كفيلا يجمع ٥٠ صوتا من اصل ١٢٠ في الكنست ، متوخيا قلب الحكومة التي يرأسها اشكول زعيم حزب الماباي •• ووصفه ـ على حد قول صحيفة الاوبزرفر اللندنية ـ بالرجل الضعيف المتحيز للاعتدال • اتحد بيرس مع ميناحيم بيغن من حزب غاهال ، وهو ثاني حزب في اسرائيل ويضم ممثلين من الاحزاب الدينية كموشي شابيرو من الحزب الوطني الديني الذي كان يؤيد وجود بن غوريون او موشى دايان على رأس الحكومة ويساند ليفي اشكول في نفس الوقت •

ذهب بيغن الى اشكول وطلب اليه ان يتنازل عن منصبه لبن غوريون• تصلب اشكول في موقفه مما حمل شابيرو على التدخل واقترح اسناد وزارة الحربية الى بن غوريون دون اخذ موافقته مسبقا •

تتبين الآن ان اغلبية اعضاء حزب الماباي ايدت توسيع الحكومة ولكنهم لم يقبلوا بانسحاب اشكول كليا •• وصرح بن غوريون بانه يرحب بوجود اشكول في أي مركز كان الا في رئاسة الوزراء ووزارة الحربية •

تردد اشكول طويلا وهذا ما حمل بيرس على التصريح في ٣١ أيار بأن حزب « رافي » مستعد ليحل نفسه وينضم الى الماباي اذا كان ذلك يؤدي الى الوصول الى الاتفاق المنشود •

وفي نفس اللحظة اتضح ان اشكول يرفض ان يترك رئاسة الوزراء ووزارة الحربية الى بن غوريون ، خلفه •• وجاء حزب « رافي » بدايان كمرشح تحالف بين حزبي رافي ـ غاهال •• ولكن هذه التسوية ازعجت بن غوريون واثارته •

كانت ضرورة وجود دايان في الحكم تتزايد يوما بعد يوم وخاصا

بعد لقاء حسين وعبد الناصر • وعارض بعض اعضاء الحكومة اعطاء القضية هذا القدر من الأهمية لان البلاد تعرضت لازمات مشابهة لهذه في ١٩٥٦ و ١٩٦٤ ولم يحدث شيء•• ولكن الجنرال ياريف ، رئيس الاستخبارات، لم يكن من هذا الرأي بعد ان اطلع الحكومة على تفاصيل المعاهدة الاردنية ـ المصرية • وبعد يومين عين الجنرال عبد المنعم رياض قائدا عاما للجيش الاردني وتم انشاء مركز قيادة للجيش المصري في عمان •• وهذا ما اكد مخاوف ياريف •

كان من المقرر ان تستمر المناقشات في مجلس الوزراء طيلة يوم الاربعاء ٣١ أيار ولكنها كانت دون جدوى • كان دايان متشائما جدا •• ورفض اشكول ان يعهد اليه الا بأمور استشارية كنائب لرئيس مجلس الوزراء مثلا او كعضو في اللجنة الوزارية المشتركة المؤلفة من ثلاثة عشر عضوا فالمنصبين هذين يخولان دايان مسؤوليات جمة ولكنهما لا يثبتان اقدامه في الحكم وهذا ما جعله ، مع حزب رافي ، يرفضهما •

وفي مساء نفس اليوم جاء دايان الى اشكول واعلمه رفضه وانه يكتفي بمركز الى جانب القائد العام للقوات رابين وان تعهد اليه قيادة الجبهة الجنوبية •

نزل اشكول عند طلب دايان وصباح يوم الخميس كان بعض قادة الماباي يتصلون هاتفيا بسيمون بيرس وزملائه في حزب رافي مهنئين ، لانهم كانوا مقتنعين من ان اتفاقا سياسيا مفصلا قد عقد مع المنفصلين •• واستنادا الى هذه المعطيات رشحت ادارة تحالف معاراش ايغال آلون كوزير للحربية •• ولكن هذا كان غير مرغوب فيه في نظر الكثيرين من اعضاء حزب الماباي الذي يساند دايان •• وعند الظهر عقد اجتماع في منزل بيغن بالأشتراك مع ممثلي جميع الاحزاب الدينية وقرروا المطالبة باسناد

وعند الساعة الثانية بعد الظهر عقد اجتماع جديد بين اشكول وقادة حزب غاهال واقترح الاول ان تسند وزارة الحربية الى ايغال يادن (جنرال سابق واستاذ علم الآثار في الجامعة العبرية) •• ولكن حزب رافي رفض وكذلك يادن •• الذي كان يشعر بان الرأي العام يؤيد وجود دايان على رأس وزارة الدفاع وان هذا كفيل باعادة الثقة الى الجيش ورفع معنوياته• وبعد ساعة فقط اجتمع ٢٤ عضوا من حزب المابام في مقر قيادة الحزب وتشاوروا فيما بينهم ثم خلصوا الى النتائج التالية : نال دايان ١٩ صوتا ونال منافسه آلون ٥ اصوات • وعند الساعة السابعة مساء اجتمع اشكول الى وفد من رافي واتفقوا على وجوب اسناد وزرة الحربية الى دايان •• وبعدها بقليل جاء قادة حزب رافي يستشيرون بن غوريون وامضوا ساعتين في نقاش حاد مع العجوز حتى استطاعوا اقناعه بان يغير رأيه ويؤيد تعيين دايان •• وفي تمام العاشرة من نفس الليلة اجتمع مجلس الوزراء واقر توسيع الحكومة : دايان للدفاع ، منياحيم بيغن ، من دون وزارة وبعد ثلاثة ايام عين جوزيف سابير وزيرا بدون وزارة ايضا • وهناك قضية هامة تناقش يوميا في اسرائيل وهي الى من يعود الفضل في اتخاذ القرارات الحاسمة التي قادت اسرائيل الى النصر •• ويقول المعجبون بدايان ان هذا القرار لم يكن قد اتخذ بعد عندما جيء بموشي الى وزارة الدفاع وانه لم يكن قد تم بعد وضع اي مخطط واضح ومدروس قيد التنفيذ ويرفض مؤيدي اشكول الاخذ بهذه الاقوال • يقول البريغادير ـ جنرال ايزروايز من ان الجنرال دايان كان يعلم عندما تسلم وزارته ان القرار القادم لم يتفق عليه بعد ومن المحتمل انه لم يكن قد اتخذ بعد •• وان حكومة اشكول اعجز من ان تنتقل الى مرحلة العمل دون مساعدة دايان •• وان هذا الاخير لم يرد ان يخاطر بتحمل مسؤوليات الاحداث بمفرده في حال

كانت نظرات وزير الخارجية أبا ايبان وايغال آلون وزير العمل بالنسبة للموضوع تختلف كليا • اكد ايبان ان قرار بدأ الاعتداءات قد اتخذ في اول حزيران وان المعاهدة المصرية ـ الاردنية كانت السبب المباشر• ولعل الحقيقة ابسط مما تفرضها الخصومات السياسية •• واكد لنا احد اعوان دايان ان العامل لمصيري هو لقاء الملك حسين وعبد الناصر في مطار القاهرة والذي اكد لنا ان اصبحنا محاطين بالأسلحة السوفياتية المهترئة من كل الجهات • » •

واذا كان دايان قد عين وزيرا للحربية فهو ان حكومة اشكول وجدت نفسها مجبرة على استنتاج خلاصتين : اولا انه لم يكن امام اسرائيل من مخرج سوى الصراع المسلح، وثانيا ان دايان يجب ان يكون وزيرا للحربية لان الشعب الاسرائيلي كان يؤمن بقيادة هذا الجنرال « جنرال العصبة السوداء » ففي ١٩٤٠ كان وجود هتلر ضروريا ليصبح تشرشل رئيسا للوزراء •• وقد عبر دايان بنفسه عن ذلك عندما قال قبل نشوب الحرب : « كان يجب وجود ٨٠ الف جندي مصري لقبولي في الوزارة • » •

ولم تعط الصحافة البريطانية في اليوم التالي اية اهمية لتعيين دايان •• بل ركزت انتباهها على المناورات الانكلو ـ امريكية الرامية الى تأمين حرية الملاحة في خليج العقبة • وفي ٢ حزيران اجتمع جونسون وهارولد ويلسون في واشنطن وجاء اجتماعهما متأخرا وفشلت جميع المساعي الدبلوماسية من اجل التغلب على الازمة • كانت الحرب اكيدة وانها ستنشب بين دقيقة واخرى •

كان الجيش الاسرائيلي ، الذي قاده دايان مزيجا من الفلاحين وتجار

الخضار وسائقي سيارات الاجرة •• فأظهر براعة فائقة في الدفاع عن الوطن وبرهن عن ميزات نادرة •• كان عدده ، في أيار ١٩٦٧ ، يتراوح ما بين ٥٠ و ٦٠ الفا ، منهم ١٠ او ١٢ الف جندي نظامي فقط وقد يبلغ ٢٦٤ الف جندي في حالة التعبئة العامة • وفي تشرين الثاني ١٩٦٦ زيدت مدة الخدمة العسكرية من ٣ سنوات الى ثلاث سنوات ونصف •• فعندما ينتهون من الخدمة يحالون الى الاحتياط حتى يبلغون الخامسة والاربعين من عمرهم وبعد ذلك يحالون الى الخدمة في صفوف الدفاع الوطني • كانت مسؤولية الاستعداد للحرب تقع على عاتق الجنرال شارون الذي قاد جيش الوسط والمظليين الذين استولوا على مضيق ملتا اثناء حملة سيناء عام ١٩٥٦ واسرائيل هي البلد الوحيد الذي تخدم فيه المرأة العلم جنبا الى جنب مع الرجل•• ورغم ان النساء قاتلن فيحرب ١٩٤٨ الا انهن لم يشتركن مباشرة في حرب ١٩٦٧ •• ورغم ذلك فقد رأينا الكثيرات منهن في خطوط الدفاع الاولى حيث كانت تدور المعارك الضارية وتعملن كممرضات او سكرتيرات او موزعات مخابرات •

وقد اثنى القائد يوفي ، احد قادة سيناء ، عليهن فقال : « كـان الرجال يقاتلون بحماس واندفاع ويتحملون الألم وحرمان الحرب وهم يرون النساء يتحملن الحرارة والذباب والتعب على مختلف انواعه ••• » ثم اضاف : « اودان اضيف في هذه المناسبة ان فرقتي ، من الضابط الى الجندي البسيط هم مدنيون او بالضبط كانوه منذ ثلاثة اسابيع فقط • انا ايضا كنت مدنيا منذ سنتين ، وبعد ان تركت الجيش لاعمل خدمة المحافظة على الطبيعة ، رأيت لزاما علي ليس حماية الطبيعة فقط بل حماية الوطن • انه مصير تافه في اسرائيل •• حيث نكون يوما جنودا وفي يوم آخر نترك الجندية لنعمل في مركز آخر مختلف • » •

يمكن تعبئة قسم كبير من الجيش الاسرائيلي في مدة ٢٤ ساعة ومن

المعقول تعبئة جميع الرجال بمدة ٧٢ ساعة •• اذ يدعوا الضباط جنودهم افراديا اما بالهاتف او بزيارة شخصية ويتدبر المتغيبون امرهم للالتحاق بالجيش •• اما المسافرون الى خارج البلاد فان راديو صوت اسرائيل يبلغهم الاوامر بالشيفرة •• ويستدعي جميع الاحتياطيين • بعد ذلك تتجمع كل وحدة في مركز مثلث ومن هناك تذهب الى الأحياء المعدة لها وتستلم الرجال عتادهم كاملا باستثناء الاحذية التي يفترض عليهم ان يحضروها معهم • اما فيما يختص بالوحدات المدرعة فقد خصصت لكل جندي خزانة خاصة تحمل اسمه وتضم عتاده الحربي وما عليهم الا ان يقفزوا الى داخل المدرعات ونصف المجنزرات التي هي بانتظارهم دائما والمستعدة للسير حالا •• وحدث اثناء الحرب الاخيرة انه استحال توزيع السلاح علـى الجميع في بعض الوحدات ، وتقدم عدد كبير جدا من المدنيين الى وحدات اخرى لكن اغلبهم منع من الانخراط في الجيش نظرا لتقدمهم في السن او لاصابتهم بجروح خطيرة •• ويقص علينا الجنرال يوفي ، يـوم كان في الجيش الانكليزي في افريقيا الشمالية ، كيف ان سائقه القديم البالغ سبعين سنة من العمر جاء ينخرط في الجيش واستحلف القادة ان يأخذوه معهم ولا يتركوه في مكانه •

واشترط يوفي عليهم ان يحضروه ولكن بعد ان وضع في سيارة جيب •••ولم يطلب اليه اكثر من ذلك •

كانت قيادة الجيش الاسرائيلي العليا مقتنعة ان اكبر خطر يهددها هو مصر ، وان المعارك ستدور في جنوب اسرائيل وفي شبه جزيرة سينـاء بالذات •• ولذلك كان ضروريا ، اثناء الازمة ، حشد اكبر قسم ممكن من القوات في النقب وعلى الجبهة المصرية •• ونظرا لضيق حدود اسرائيل ولكثافة سكانها ، لم يكن الاسرائيليون يجهلون ضرورة نقل المعركة الى خارج ارضهم : يجب ان يخرجوا جميعا ويجابهوا العدو في سيناء •

ان اول ما تخوفت منه اسرائيل اذن هي الجبهة المصرية واحتلت التهديدات الاردنية والسورية المرتبة الثانية ، وحتى قبل نشوب الحرب باسبوع لم يكن احد يفكر بان الاردن ستتدخل منذ البداية وتهاجم اسرائيل ••• وتكهنت المخابرات الاسرائيلية بعمل دفاعي فقط على الجبهتين السورية والاردنية وذلك حتى تتمكنا من ارسال اكبر قسم ممكن من الجيش الى سيناء • وكانت المستعمرات القريبة من الجبهة الشمالية الشرقية معرضة اكثر من غيرها للخطر لانها تقع في شبه وعاء عند اسفل الجبال المطلة على السهل الاسرائيلي وهذا ما يسمح للسوريين بقصفها بسهولة دون ان تتمكن من الرد ولو بطلقة واحدة ••• ونذكر هنا ان الحالة كانت متوترة في تلك المنطقة منذ زمن بعيد •

لم تكن المرأة واثقة على الاطلاق من ان زوجها سيعود اليها بعد ان يغادر منزله في الصباح ليعمل في الحقل في تلك المنطقة او في المنطقة المنزوعة السلاح ، باتت الحياة في تلك المناطق لا تحتمل وخاصة بعد تزايد عمليات الفدائيين المرابطين في سوريا ضد الكيبوتز •• وفي حالة الحرب تكون جميع المستعمرات الاسرائيلية تحت رحمة المدفعية السورية الممتدة على مسافة ١٥ كيلومترا من الجهة الثانية من الجبهات الاسرائيلية •• كان هذا الوضع المحصن يقوى دون انقطاع منذ تسعة عشر سنة ويضم مجموعة كبيرة من قطع المدفعية الحديثة والمدافع المضادة وبطاريات الدفاع الجوية المقدمة من روسيا •• كان هناك ٢٥٠ مدفعا على الاقل تصب اكثر من عشرة اطنان من القنابل في الدقيقة اثناء الاشتباكات وباستطاعتها بلوغ الاهداف الواقعة على ٢٥ كيلومترا ••• ورغم هذا القصف المخيف كان عدد الضحايا بين النساء والاطفال ضئيل جدا اذ ان الخبرة علمت القيمين على الامور كيف يبنون غرف النوم للصغار بالاسمنت المسلح والملاجىء المحاطة باكياس الرمل ولم يغادروها الا فترات قليلة اثناء الحرب ••• ولم يفكر احد

باخلاء الناس والاطفال عن مسرح المعارك ويعتبر هذا تفوقا في جهاز الدفاع الاسرائيلي عن الاراضي وان كل عضو من اعضاء الكيبوتز يعلم انه يقاتل ليس فقط لحماية منزله ووطنه بل من اجل امرأته واولاده •

خلق انسحاب قوات الطوارىء الدولية جوا من التوتر على الجبهة المصرية ــ الاسرائيلية وخاصة في غزة • كان يكفي في تلك الآونة ان تذهب الى مستعمرة ككفار هازا مثلا ، لتلاحظ يوميا الفلاحين او الدوريات العسكرية وترى كيف يتجنبون زخ الرصاص والقنابل التي تسقط فوقهم • وقبل ايام فقط من اندلاع الحرب دمرت القنابل المحرقة مائتي هكتارا من القمح في مستعمرة مجاورة لناحال اوز • وتجدر الاشارة الى ان تكتيك الجيش الاسرائيلي يتمتع بنعومة قد لا تدرس في الكتب العسكرية • فقد جربتها اسرائيل في حرب عام ١٩٥٦ رجاءت تقطف ثمارها في حرب حزيران ١٩٦٧ • وفي لقاء لنا ، بعد الحرب ، مع الجنرال رابين ، ان هدف التكتيك الاسرائيلي الاول كان « قبضة اليد » أي ضرب ارض العدو بالاستناد الى حشد مدرعات قوي ودفع هذا الحشد دون القلق من انشاء شبكة من خطوط المواصلات او التقدم على جبهة مستمرة ، وقد درست هذه الطريقة في الكتب منذ قرون عديدة • بلغت درجة اعداد وفعالية الجيش المصفح حد الكمال تحت امرة الجنرال رابين الذي يشارك في اعداد قسم كبير من الخطط الكثيرة وقد خصص كل منها لامور مستقلة بعضها عن بعض •• وتحدث وايزمن عن طبيعة العمليات الحربية فقال :

« لدينا مخطط لكل شيء وحتى لاحتلال القطب الشمالي • ان الخطط اشبه بالآجر نستطيع استعمالها واحدة واحدة للبناء بقدر تطور الازمة • » •

يحتاج الجيش، مثلا، الى وحدات مدرعة منتقاة ويلزمه «مكننة» جميع

مشاته • قال لنا الجنرال آريال شارون : « ليس في الجيش الاسرائيلي من يمشي سيرا على الاقدام • فقد انتهى ذلك منذ سنوات •• وكان اعطاء الافضليات للطيران ذا قيمة لا يستهان بها ابدا وربما كانت اكبر من جميع العمليات الحربية الأخرى •• ويعتبر الجنرال مردخاي هود وراء نجاح وتطور الطيران الاسرائيلي ويستحق كل جدارة ، انما يعود الفضل الاول الى وايزمن الذي سهر على انماء الطيران طيلة العشر سنوات الماضية •• اذ قرر تسخير جميع الاعتمادات المتوفرة لانشاء اسطول من الطائرات المقاتلة والقاذفات بدل « تبذيرها » فقط على شراء المقاتلات •• وجد ويزمان ان القاذفات وحدها لا تكفي لحماية اسرائيل ما دامت مهمتها الاساسية هي مهاجمة السكان المدنيين والمناطق السكنية ولكن ليس هذا هدف اسرائيل • اراد وايزمان امتلاك طيران قادر على تدمير جيش جوي يأتي ليهاجم البلاد ويستطيع في نفس الوقت مساندة القوات الاسرائيلية الارضية •• ولهذا عمل وايزمن جاهدا للحصول على المقاتلات فاشترى طائرات « الميستر » اولا ثم حصل على طائرات الميراج الحديثة والتي تفوق سرعتها سرعة الصوت •• « لقد انطلقنا دائما من مبدأ مفاده ان علينا ان نقاتل احدث طائرة في العالم ثم اتضح لنا في النهاية ان ليس هذا كل شيء • » •

وفي بداية عام ١٩٦٧ دعا الطيران الاسرائيلي الملحقين الجويين في تل ابيب لحضور عرض جوي • بدأ العرض بتشكيلات من طائرات فوتور التي تعمل على المدى الطويل واهم ما اشتهر به هو سرعة تحركها وتزودها بالوقود والعودة الى الجو بظرف سبعة دقائق ونصف حاملة تحت اجنحتها ١٠ اطنان من القنابل • وبعد الحرب سأل احد الملحقين الجنرال هود عن معدل بقاء الطائرات على الارض بين مهمتين •• ورد عليه هود : لقد شاهدت ذلك في العرض الذي جرى في مطلع العام •• وأجاب الملحق : ولكن ذلك كان مجرد استعراض فقط • وقال هود : انما كانت عملية عادية

يقوم بها الطيارون وقد جعلوا هبوطهم واقلاعهم يتم في اقصر وقت ممكن •

كان الاسرائيليون يترقبون الحرب رغم اقتناعهم بقلة عددهم وان ما يملكونه من اسلحة يقل عما يملكه العرب من حيث الكمية والنوع ••• وكان العرب كذلك مصممين على مواجهة المعركة مهما اختلفت آراؤهم وايديولوجياتهم وتضاربت ••• فقد اجمعوا على ان الحرب امر لا مفر منه•

ترك الرجال والنساء اعمالهم في الحقل • كان الشعب يعلم ان الخسارة بالنسبة للعرب لا تعني سوى خسارة جيش ••• يكون قد جلب نهاية اسرائيل كدولة واباد شعبها •• وعبر عن ذلك احد الضباط الاسرائيليين الذين اشتركوا مع الانكليز في حرب الصحراء : « كانت ستكون هناك ما سادا جديدة لو ان الجيش المصري دخل البلاد •• لن يكون هناك انسان على قيد الحياة •• كنت لاقتل اختي او زوجتي اذا رايتهما تقعان في ايدي الجيش المصري •• واني واثق من ان كل اسرائيلي كان سيتصرف هكذا •

كان وجود هارولد ويلسون في واشنطن اثناء ازمة الشرق الاوسط مجرد صدفة كبيرة •• كان ينوي القيام بزيارة المعرض الدولي عام ١٩٦٧ منذ زمن طويل ويلتقي بزميله الكندي ليستر بيرسن • وكانت التقاليد تقضي ان يقوم رئيس وزراء بريطانيا بزيارتين كل سنة الى الولايات المتحدة ويناقش المسؤولين في الولايات المتحدة في الاحوال الراهنة • كان السيد ويلسون يستعد اذن لاجراء محادثات تافهة لا تسترعي انتباه احد •• وقبل اسبوعين بالضبط كان الجنرال ديغول يتحدث في مؤتمر صحفي في باريس في ١٥ أيار ويجدد معارضته لدخول بريطانيا في السوق الاوروبية المشتركة • وشك الامريكيون في زيارة ويلسون وانه من الأفضل لو ارجأ الزيارة ، او الغاها •• كانوا يتخوفون من انه سوف

لن يتكلم عن الحرب الفيتنامية من قريب او بعيد وذلك ليبرهن لديغول انه اصبح مواطنا اوروبيا صالحا •• او ربما لـزم الصمت وزاد في تـأزم العلاقات بين بريطانيا وفرنسا مما يزيد موقف ديغول تصلبا •

وجدير بنا ان نذكر بتصلب الموقف الامريكي ازاء حرب فيتنام بعد زيارة الجنرال وستمورلند الى واشنطن والخطاب الذي القاه في الجلسة التي عقدها الكونغرس حول فيتنام، ويومها بدأ البيت الأبيض يفكر بارسال المزيد من القوات والعتاد الى هناك •

وانتهزت مجموعة من النواب البريطانيين ، محافظين وعمال ، انتهزوا عطلة العنصرة وذهبوا الى واشنطن ولكنهم فوجئوا بتصلب امريكا •• وبعد لقاء قصير مع جونسون صرح هاول : « يبدو لي انه استعاض عن السياسة بالصلاة • » •

لم تؤد المحادثات المشتركة بين بريطانيا وامريكا الى أي نتائـج ايجابية حول عمل موحد لازمة الشرق الاوسط • ومنذ ان اعلن عبد الناصر عن نيته باغلاق خليج العقبة امام السفن الاسرائيلية ، وواشنطن وبريطانيا تحاولان وضع بيان يطالب القانون حرية المرور ، وانهما سترفعانه الى بقية الدول البحرية للتوقيع عليه • وعندما اطلع جورج براون مجلس العموم ، في ٣١ أيار ، على قسم من المشروع قوبل بعاصفة من التصفيق والتأييد من الموالين والمعارضين على حد سواء ••• واضاف الوزير : « ان اقامة سلام دائم معناه الاعتراف بحق اسرائيل بالوجود • » •

واعلن رئيس الوزراء انه يحتفظ بحق احتمال التدخل المسلح الى جانب بقية الدول اذا لم ينجح مجلس الأمن بايجاد حل للازمة ••• ويستنتج من خطاب ويلسون ان ساعة العمل لم تحن بعد •• وورد احتمال قيام عرض

عسكري بحري ، اذا استمر عبد الناصر على موقفه ، لاجبار مصر على كسر طوق الحصار •• ولكن المشروع لم يكن قد رأى النور بعد اثناء اجتماع جونسون وويلسون •

استقبل ويلسون بحفاوة بالغة في واشنطن وهو في طريقها اليهـا أتيا من اوتاوا يوم الجمعة في اول حزيران : كان حرس الشرف بانتظاره امام البيت الابيض واطلقت المدفعية ٢١ طلقة تحية له •••

امام هذا الاستقبال الكبير سأله احد الصحفيين « الا تظن ان شيئا قد تغير في علاقاتنا مع بريطانيا ؟ فلماذا اذن هذه الاعلام وطلقات المدافع• اقسم انه لما كان ذلك لو ان الزائر ملك الباتاغون (١) ••

اجتمع ويلسون الى جونسون مدة ساعتين قبل طعام الغداء وعادا من جديد الى الاجتماع بعد الظهر مع بقية اعضاء الحكومتين البريطانيـة والامريكية • وفي تمام الرابعة والنصف كان ويلسون يعقد مؤتمـرا صحفيا مقتضبا في السفارة البريطانية في واشنطن • وفي حفل العشـاء التكريمي لمح ويلسون الى انه تحدث عن ازمة الشرق الاوسـط في مناسبتين : كانت الاولى في مجلس العموم والثانية في المؤتمر الصحفي ثم أضاف : « كان ضروريا الا اقول شيئا ، لا في مسألة ولا في اخرى ، وهكذا لم اقل شيئا » •

وبينما كانت الدبلوماسية في واشنطن ونيويورك ولندن تسير فـي طريق حسن ، كانت اسرائيل ترفض نهائيا فكرة قيام وحدة عالمية ، ترعاها الولايات المتحدة ، بفتـح المضيق وعودة الملاحة اليـه • واذا كانت

(١) Petagams

الحكومتين الأمريكية والانكليزية قد اعطت الضمانات الكاملة لهـذا الغرض ، فان الاسرائيليين باتوا على اقتناع تام من ان الحكومتين كانتا غير متحمستين لاتخاذ الاجراءات الفعلية •

قام ايبان بزيارات متوالية الى كل من بريطانيا وواشنطن وباريس رغم معارضة زملائه الوزراء وذلك من اجل خلق جو مناسب يسمح لاسرائيل باتخاذ خطة عمل نهائية •• وفي جميع البلدان الغربية تقريبا كان الرأي العام يقف الى جانب اسرائيل •

وفي نهاية الاسبوع الاول في شهر حزيران وثق الاسرائيليون من مساعدة الرئيس جونسون وان روسيا لن تتدخل فعليا الى جانب العرب • على ماذا كان يرتكز هذا الاقتناع ؟ اعلى التقديرات الاولية للمخابرات الاسرائيلية بكل بساطة ؟ وحتى الآن لا احد يعلم ذلك • والشيء الأكيد هو ان وزارة الخارجية الامريكية ، بواسطة سفيرها في تل ابيب ، اعطت النور الاحمر ونصحت ، شكليا ، بعدم الحرب•• ولكن اسرائيل كانت مقتنعة انه من الافضل العمر اذا اقتضت الحاجة•• ولكن الحالة بلغت حالة التدهور ، كما يقول الجنرال ياريف رئيس الاستخبارات •• فقد عرفوا الاسرائيليون ، بالفعل ، بوصول الجنرال عبد المنعم رياض الى عمان وانه جاء لانشاء مركز له وتولي قيادة الجيوش الاردنية استنادا الى تحالف حسين وعبدالناصر •• ويوم الاحد ، ٤ حزيران ، كانت مقدمة كتائب المشاة العراقية تعبر الى جهة نهر الاردن تساندها مائة وخمسون دبابة •• كانت حركة هذه الكتائب ستتم طيلة الاسبوع القادم ومعنى هذا ان أمن البلاد اصبح مهددا بالخطر من الآن فصاعدا •

فكرت اسرائيل ان بامكانها مقاومة ثمانمائة مدرعة مصرية (او

اكثر) محشودة في سيناء ، ولكن الخطر الفادح كان يكمن في وجود ما بين ٣٠٠ او ٤٠٠ مصفحة بالقرب من اهم قواعدها الجوية ومراكزها السكنية •• ويضاف الى ذلك ان الطيران المصري بدأ يظهر نشاطا ملحوظا في الآونة الاخيرة •

منذ عام ١٩٥٦ لم تخترق طائرة مصرية المجال الجوي الاسرائيلي•• ولكن اسرائيل سجلت ثلاثة اختراقات جوية مصرية في الآونة الاخيرة قامت بها طائرات ميغ ٢١ المصرية حيث كانت ترسم قوسا من البحر الميت حتى العريش ، مرورا فوق القواعد الاسرائيلية الجوية الكبيرة والمنطقة التي يرابط فيها قسم كبير من جيشها •

كانت طائرات الميغ تقطع الاجواء الاسرائيلية بمدة اربع دقائق مما يجعل اللحاق بها ومحاصرتها امرا مستحيلا • لم يكن الاسرائيليون يجهلون ان هذه الطائرات لم تكن مزودة بمعدات تسمح لها بالتقاط الصور التي تكون اهمية حقيقية من الوجهة الحربية ، ولكن ما كان يزعجهم هو سرعة وحذاقة الطيران المصري • الم يكن هناك احتمال مشاهدتهم القيام بجولات استطلاعية جديدة كفيلة بان تقدم لهم المعلومات المفيدة ؟

كان هناك سبب آخر يدفع الاسرائيليين الى العمل المباشر : انه احتمال القيام بهجوم مفاجيء • اجمع المراقبون في الشرق الاوسط تقريبا — صحافيون ودبلوماسيون وعسكريون — اجمعوا على ان الوضع الاسرائيلي الاستراتيجي قد تردى منذ ثلاثة اسابيع وخاصة بعد ان حشد المصريون ما بين ٩٠ ومائة الف جندي و ٨٠٠ مدرعة في صحراء سيناء • ودوت صرخة يائسة في اسرائيل قبل اندلاع الحرب باسبوع : « لقد اخطأنا الهدف » • لم يكن هناك من يشك انه بعد ايام وايام

من التوتر والقلق بان مصر ستتهاون وان الدوائر الحكومية المصرية بدأت تشعر بنصر مؤكد لا يؤدي الى تصدع الجيش .

وهنا قرر الاسرائيليون ان يضربوا . واثناء سلسلة من الاجتماعات السرية التي عقدت مساء السبت ٣ حزيران وصباح الاحد تم التغلب على جميع الترددات وازيلت آخر الشكوك .. وعرف الجنود والطيارون مساء الاحد ان غدا سيكون يوم حرب .

أبدى مجلس الوزراء مرارة كبرى اثناء اتخاذ قرار الحرب مع ان اغلب اعضائه كانوا من المدنيين الذين لايفقهون من الامور العسكرية الا القليل ... ووجدوا صعوبة في تصديق تصريحات الجنرال هود ، قائد الطيران الذي قال : « ان طائراته مستعدة لتحطيم الطيران المصري وجميع حلفائه العرب دون ان تتعرض تل ابيب للقصف . »

لقد كثر الحديث عن تلك القوة الجوية المصرية المكونة من اربعمائة طائرة مقاتلة وقاذفة قنابل اعدها الروس وسهروا على تدريب ربابنتها ، وهل يعقل تحطيمها بضربة واحدة ؟ كان الوزراء يرون المدنيين يموتون بالعشرات وهذا مادفعهم الى التردد . ولكن دايان كان متفائلا وان دخوله الى الحكومة يعني منذ الآن وجود رجل يعلم جيدا وضع البلاد السياسي والعسكري . كان واثقا من ان الجيش الاسرائيلي سيفي بوعده وايد فكرته هذه كل من الجنرال وايزمن والجنرال هود . وساهم دايان كثيرا في النصر بعد ان قاسمه زملاؤه اقتناعه . ويصفه لنا احد القادة المسؤولين بقوله : « كان رابين الرئيس الأعلى لدايان وكان دايان القائد العام .»

عندما تسلم دايان وزارة الحزبية كان على علم بكل شيء .. وقبل خمسة عشر يوم حصل على اذن خاص من رئيس الوزراء وقائد الاركان

الجنرال رابين فتفقد القوات ودرس مع قوادهم خطط المعركة .. وبين ليلة الخميس وليلة الاحد ادخل على هده الخطط عدة تغييرات مبقيا على المبدأ ككل الا وهو التأكد من الجبهة لمواجهة الأردن وسوريا .. والبحث عن وضع الجيش المصري خارج المعركة في سيناء .

وقبل تعينه وزيرا كان دايان يزود الضباط الكبار بنصائح قيمة والذين وجدوا ذلك امرا مشروعا رغم انه لا يزال مدنيا ولم يتخذ بعد اية صفة عسكرية تخوله ذلك .. وهكذا التقى دايان ، يوم ٣١ أيار ، الجنرال ناركين قائد المنطقة الوسطى المكونة من : تل ابيب ، والقسم الغربي من القدس والسهل الساحلي الكثيف السكان ومن بئر السبع في الجنوب وناتانيا في الشمال . التقى الرجلان في القدس ودرسا المواقع على الخريطة ثم خرجا الى المدينة ليذهبا الى كاستل التي تطل على جميع المنطقة . اقترح دايان الحد من تحركات القوات كي لا يسكن الاردنيين من التحدي .. ولم تكن اسرائيل تنوي مهاجمة الأردن في البداية .. ولذلك لم يكن الجنرال ناركين يملك الا القليل من العناد .

قيل في اسرائيل ان هجوما اردنيا لا يبدل في الخطة المحلية وسيحافظ على طابعه كظاهرة تأييد من الملك حسين الى حلفائه . وهكذا نصح دايان الجنرال ناركين قائلا : « لا تقلقوا مقر القيادة العام بطلبات النجدة ! تدبروا امركم بانفسكم وشدوا الأحزمة . » كان دايان يتمتع بشهرة رجل عمل .. واجمع الاسرائيليون ، بعد ان علموا بدخوله الى الحكومة ، ان المعركة اصبحت على الابواب . كان اول عمل قام به هو خداع العالم بالنسبة لهذا الاقتراح على امل ان يأخذ هو زمام المفاجأة الضرورية جدا لاسرائيل والحصول على نصر سريع مقابل ادنى عدد ممكن من الضحايا المدنيين . ايقن الاسرائيليون بعد خمسة عشر يوما من التعبئة والانتظار في

الصحراء ان الجيش يطالب باتخاذ قرار حاسم وانهم سيقبلون بالتراجع اذا صدرت اليهم الاوامر من حكومة يشترك فيها دايان •• ورغم كونه «مدنيا» فان دايان كان يتمتع بمركز قوي في الجيش وانه فقط هو الذي يستطيع اتخاذ القرارات الهامة •

عقد وزير الحربية الجديد مؤتمرا صحفيا يوم السبت في ٣ حزيران واعلن ، استنادا الى صحيفة « جيروزاليم بوست » (١) ، : « انه فات الاوان للقيام بعملية حربية لفتح القناة وان المحاولات الدبلوماسية قد باءت بالفشل •• لقد اقترعت الحكومة الى جانب الدبلوماسية قبل ان اصبح عضوا فيها ، ويجب ان تتيح لها الفرصة حتى تحاول • » •

وعشية حرب ٥ حزيران كانت الصحف الاسرائيلية وجميع صحف العالم تنشر صورا كثيرة للجنود الاسرائيليين وهم يمرحون فوق الرمال على شاطيء البحر •• وارسل قسم كبير منهم « بمهمة » في نهاية عطلة الاسبوع •• كان بامكان جاسوس مصري في اسرائيل ان يوجه تقريرا الى رؤسائه يصف لهم فيها حالة بلد باكمله بدا وكأنه في عطلة •• وبعد عدة جلسات لمجلس الوزراء اتخذ قرار المهاجمة بالاجماع ووزع البيان التالي على الصحافة صبيحة يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ •

اجتمع مجلس الوزراء البارحة وقرر ما يلي :
« ١ ــ الاستماع الى التقارير الواردة من رئيس الوزراء ووزير الحربية •

٢ ــ قرر قبول جوزيف سابير في الحزب •
صادق المجلس على المشاريع التالية :

(١) Jerusalem Post

ــ اصدار سندات على الدولة
ــ ضريبة الدفاع الوطني ١٩٦٧
ــ اقتراع من الدفاع ١٩٦٧
وعدل المجلس المعاهدات التالية :

ــ الاتفاق على التعاون التقني والعلمي بين بعثة الطاقة الذرية ، الاسرائيلية •

ــ الموافقة على الاتفاق الثقافي ، بين اسرائيل وبلجيكا •
ــ الاتفاق بين اسرائيل وبريطانيا على تحديد الاساليب التي يجب اتباعها في حال حدوث اختلافات عسكرية وتجارية •

نجح المخطط الاسرائيلي ولم يكن القواد المصريون ، كما بدا ، يشعرون بادنى قلق ويجهلون ماذا سينهمر من فوقهم بين لحظة واخرى •
وكان اولئك الذين يؤسفون لان اسرائيل قد اخطأت الهدف ، كانوا يصرون على ان البلاد خسرت المبادرة وان نسبة القوى لم تكن ملائمة الآن حيث يتوجب عليه مجابهتها على الجبهة الجنوبية ، فهناك ٨٠ الف جندي و ٨٠٠ دبابة بانتظاره • وعلى كل لم يكن هذا التفكير يشمل الجو حيث كان سيتقرر مصير الحرب • ان من ينتصر في الجو يفرض سيطرته على القوات الارضية ويتمكن من التوفق والسيادة •• ولكن ميزان القوى الجوية لم يبدل شيئا : كانت اسرائيل تنتظر احتمال تدخل اردني وعراقي وان الجيش المصري قد حشد اكبر قسم ممكن من آلياته في القواعد المتقدمة ، في سيناء وحيث سيكون هدفا سهلا ولقمة سائغة في حال هجوم فجائي •

ويوم الجمعة ٢ حزيران استقبل موشي دايان ، في زاهالا ، احدى

ضواحي تل ابيب ، استقبل مبعوث صحيفة أخبار العالم (١) وابلغه بان ما يقال عن اسرائيل في انها اخطأت الهدف وباتت عاجزة عن التحرك ، هو امر مبالغ فيه وان الاجواء هي التي ستقرر كل شيء • وعلى هذا رد وزير الحربية بقوله : « نادرا ما يفصل في الامور هكذا ، فهي اما بيضاء او سوداء وغالبا ما تكون رمادية قاتمة ومن غير المحتمل احيانا ان تكون الغلبة والسيطرة الجوية مصدر التفوق الكلي • » • طار المبعوث الصحفي الى بريطانيا صباح الاحد عشية اندلاع الحرب ولحقت به مجموعة من الصحفيين البريطانيين العاملين في صحيفة الصنداي تايمز (٢) ، الساعة الثامنة من صباح يوم الاثنين ••

لم ترد اسرائيل ان يسبقها الزمن ولم تكن جاهلة بآخر نوايا الرئيس عبد الناصر •

تطور الوضع العسكري :

١٥ أيار

عرض عسكري في القدس بمناسبة عيد استقلال اسرائيل • القوات المصرية تعبر القاهرة وهي في طريقها الى سيناء • وضع الجيش الاسرائيلي في حالة تأهب .

١٦ أيار

اعلان حالة الطوارىء في مصر • ناطق بأسم الجيش المصري يعلن : « كل شيء معد للحرب •• » الجيش في حالة التأهب على الجبهة الاسرائيلية •

١٧ أيار

استنادا الى تصريحات من القاهرة ودمشق يستفاد منها ان سوريا

(١) News of The World
(٢) Sunday Times

والجمهورية العربية المتحدة مستعدتان للمعركة • تحرك هام للقوات المصرية في الشرق ، داخل شبه جزيرة سيناء • تفيد الانباء الواردة من عمان ان الجيش الاردني بدأ التعبئة •

١٨ أيار

راديو القاهرة يكرر ان الجيش السوري والمصري مستعدان لكل احتمال • بدأ التعبئة في العراق والكويت • تل ابيب تعلن ان الاجراءات اللازمة قد اتخذت •

١٩ أيار

اعلان سحب جنود قوة الطوارىء الدولية رسميا •

انزال علم الامم المتحدة من فوق منطقة غزة وحل قوة الطوارىء •

٢٠ أيار

اسرائيل تعلن عن انتهاء التعبئة الجزئية في جيوشها •

٢١ أيار

اعلن احمد الشقيري ان ثمانية آلاف جندي من جيش التحرير الفلسطيني قد وضعوا تحت تصرف الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا • مصر تستدعي جنود الاحتياط •

٢٢ أيار

رئيس وزراء اسرائيل ، ليفي اشكول يعلن عن ان عدد جنود الجيش المصري في سيناء قد زيد من ٣٥ الف جندي الى ٨٠ الف • تفيد انباء القاهرة ان العراق عرضت على مصر مساعدة القوات الجوية والارضية في حال وقوع حرب وان عبد الناصر قد وافق على ذلك •

٢٣ أيار

اعلن الملك فيصل ــ وكان يقيم في لندن آنذاك ، انه ابلغ جيشه بالبقاء على حالة استداد والتهيأ للمعركة ضد العدوان الاسرائيلي •

٢٤ أيار

الاسطول السادس الامريكي (المكوّن من ٥٠ سفينة تقريبا) يأخذ مكانه في المتوسط • عمان تعلن رسميا ان التعبئة العامة قد انتهت وان الحكومة قد سمحت للعراق وللمملكة العربية السعودية بادخال الجنود الى اراضيها وان الأخيرة قد حشدت اكثر من عشرين الف جندي على حدودها مع الأردن ، في شمال خليج العقبة •

٢٦ أيار

في القاهرة اعلن عبد الناصر انه اذا نشبت الحرب فاسرائيل ستمحى من الوجود وان العرب على استعداد والنصر حليفهم •

٢٨ أيار

اعلان التعبئة العامة في السودان •

٢٩ أيار

الجزائر تعلن عن ارسال قوات جزائرية الى الشرق الاوسط لمساعدة مصر •

٣٠ أيار

توقيع معاهدة الدفاع المشترك بين مصر والأردن •

٣١ أيار

فيالق المشاة والمدرعات العراقية تدخل الأردن •

١ حزيران

الطائرات العراقية تغادر القاعدة العسكرية في الحبانية بالقرب من بغداد الى (هـ ٣ ــ H 3) القاعدة الواقعة الى غرب العراق وغير البعيدة عن الجبهة الاسرائيلية •

٣ حزيران

الجنرال مرتجي ، قائد الجيش المصري العام ، يعلن الى القوات المرابطة في سيناء : « تتحتم على هذه اللحظات تتائج تاريخية بالنسبة للامة العربية والحرب المقدسة هي التي ستمكننا من استرجاع حقوق من شردوا من اراضيهم • » الجيش الاسرائيلي يمنح جنوده اكبر عدد ممكن من المأذونيات ونرى الكثيرين منهم (في الصحف والتلفزيون) يرتادون الشواطىء بحثا عن الراحة والترفيه والتسلية •

الفصل الرابع

الهجوم الجوي

غادرت اول موجة من الطائرات الاسرائيلية قواعدها يوم ٥ حزيران وفي تمام الساعة الثامنة الا الربع صباحا • كان هدفها ١٠ مطارات وقد اصابت تسعة منها في آن واحد •• اما المطار العاشر ، مطار فايد فانه ضرب بعد عشر دقائق فقط لأن الضباب فوق قناة السويس كان يحجبه • اقلعت الطائرات بدقة متناهية بحيث تستطيع الوصول فوق الهدف بنفس اللحظة وتخلق مفاجأة كبرى • كان كل هجوم يتم بواسطة اربع طائرات تطير بشكل ثنائي • وما ان تصل فوق اهدافها حتى ينهي الطيارون مهمتهم وتنفجر القنابل •• والمطارات التي قصفت هي : مطار جبل لبني ، العريش ، بير جيفغافا ، بير التمادا ، ابو صوير ، كبريت ، انشاص ، القاهرة الغربي ، بني سويف ومطار فايد •

وهكذا دمر اكبر قسم من القوات المصرية الجوية • ولم تحلق اثناء الهجوم الا اربع طائرات كانت تقوم بجولة تدريبية يقودها مدرب وثلاثة طلاب طيارين ولا سلاح عليها •

قامت اسرائيل بالهجوم الجوي باكرا لاربعة اسباب هي :

١ ـ كانت حركة الاستعداد في مصر بدأت تخف • فقد بدأ القائد المصري ، فعلا ، منذ ثلاثة اسابيع يحشد القوات في سيناء وكانت الطائرات، فجر كل يوم جاهزة فوق المدارج ، في كل مطار ، وعلى استعداد للتحليق في حالة الانذار بمدة لا تتجاوز الخمس دقائق •• وفي الفجر ايضا كانت

مجموعات من الميغ تجوب اجواء الجمهورية العربية المتحدة تحسبا لهجوم جوي لان الوضع كان يشير الى ذلك •• ومع هذا كان الاسرائيليون يشكون بامكانية بقاء العدو على هذا الوضع طيلة النهار ••• وانه اذا لم يتم الهجوم بعد الفجر بساعتين او ثلاثة فان المصريين سيخففون المراقبة ويتخلون نوعا ما عن الرادارات •• واعتقد الاسرائيليون انه في مثل هذا الوقت ـ اي الوقت الذي هاجموا فيه ـ تكون الرقابة المصرية شبه معدومة •

٢ ـ تتم الغارات الجوية عادة عند الفجر • ولكن على الطيارين ان يكونوا مستعدين قبل الاقلاع بثلاث ساعات وهذا يجبرهم على النهوض عند منتصف الليل • وبتحديد وقت الهجوم في تمام الساعة الثامنة الا الربع يكون الطيارون قد ناموا اربع ساعات اي انهم يستيقظون في الرابعة بدلا من منتصف الليل •

٣ ـ يغطي الضباب في هذا الفصل اكبر قسم من مجرى النيل اي الدلتا وقناة السويس • ولا يبدأ الضباب بالتبدد الا في السابعة والنصف وبعده يصبح الجو ملائما لنجاح الغارة الجوية وفي هذه اللحظات بالذات تكون الرؤيا واضحة جدا نسبة لوضع الشمس وضعف الرياح ولا ننسى ما لهذا من اثر كبير عند رمي القنابل فوق الأمكنة المحددة •

٤ ـ عندما تكون الساعة ٧٫٤٥ في اسرائيل تكون ٨٫٤٥ في مصر • لماذا اختاروا الثامنة الا ربعا وليس الثامنة او الثامنة والربع مثلا ؟ تفتح المكاتب ابوابها في مصر عند الساعة التاسعة •• وان هجوما يشن بخمسة عشر دقيقة قبل تلك الساعة من شأنه ان يفاجيء ضباط الجيش الجوي وهم في طريقهم الى مراكزهم ، ويقضي على الطيارين والموظفين الارضيين قبل ان يتلقوا التعليمات او ينصرفوا الى القيام بأية نشاطات اخرى •

وفي الوقت الذي كانت آخر الدوريات المصرية تقوم باستطلاع الاجواء وتظهر على شاشات الرادار في اسرائيل ، كان الجنرال هود قابعا في مقر قيادته • كان يعلم تماما كم تستطيع طائرات الميغ ٢١ ان تبقى في الجو ، وعند الثامنة الا ربعا يكون وقود الدورية قد قرب من النهاية وتكون الطائرات في طريقها الى قواعدها •

كان هدف الهجوم المباغت الاول هو تعطيل مدارج الاقلاع وتحطيم اكبر عدد ممكن من طائرات الميغ ٢١ التي باستطاعتها منع الطيران الاسرائيلي من تحقيق هدفه العام : ابادة قاذفات القنابل المصرية ذات مدى العمل الطويل والتي تهدد مباشرة سكان اسرائيل المدنيين •• وهكذا تم تدمير ثمانية تشكيلات من الميغ في اللحظة التي كانت تحاول ان تأخذ مكانها عند آخر المدرج •

وتجدر الاشارة الى ان المصريين كانوا ضحية مناورة بارعة اجبرتهم على سحب ٢٠ طائرة مقاتلة ـ هي ١٢ ميغ ٢١ و ٨ ميغ ١٩ ـ من مناطق القاهرة وقناة السويس حيث تقع اهم قواعد الطيران المصري في هورغادا في الجنوب واصبحت عاطلة عن العمل • وارسل الاسرائيليون بالفعل ، قبل الحرب بايام ، عدة اسراب من الطائرات فوق خليج العقبة وكأنهم ارادوا ان يبرهنوا لاعدائهم عما يدبرونه لهم من ضربة مفاجئة ليست في حسبانهم فيحاصرون القسم الجنوبي من سيناء بدل ان يطبقوا بكلابة على اليمين كما كانت الحال بالنسبة للمرور في البحر الأبيض المتوسط • كانت العشرين طائرة في قاعدة هوغادا بعيدة عن ساحة المعارك •• وعندما هوت اسرائيل بمطرقتها اتجهت هذه الطائرات الى الشمال والقواعد القريبة من قناة السويس وتبين لها انه لم يعد هناك من مدارج تنزل فوقها فتمكن منها الطيران الاسرائيلي وحطمها •• والأفضل هو انه كان على هذه الطائرات

ان تتجه نحو الاقصر وبقية القواعد في مصر العليا حيث كان بامكانها ان تجد ملجأ يقيها ضربات اسرائيل نسبيا •

وبالاضافة الى هذه المجموعة كانت هناك مجموعتان ثانيتان من طائرات ميغ ٢١ ، تتكون كل مجموعة من اربع طائرات •• ونجحت بتدمير طائرتين اسرائيليتين قبل ان تلاقي نفس المصير •

كانت الطائرات الاسرائيلية تتكون من مجموعات رباعية وتعمل على جميع الجهات •• فبعد ان يقوم بعضها بغارة قصيرة فوق البحر ، تعود الى القواعد القريبة من القاهرة وقناة السويس وسيناء ••• بينما تغير مجموعات اخرى باتجاه قواعد في مصر العليا • كانت تطير على مستوى منخفض جدا ولا تعلو عن الأرض او الأمواج اكثر من عشرات الامتار وذلك للتخلص من مراقبة الرادارات المصرية •• وكان الاسرائيليون يتخوفون كثيرا من الرادارات السوفياتية والامريكية اكثر من تخوفهم من الشبكة المصرية • وفي تلك الساعة بالفعل كانت اشعة النور على شاشات الرادار تبحث وتتقصى في جميع الجهات سماء الشرق الاوسط • وعلاوة على مراكز الرصد المصرية ـ وعددها عشرة في سيناء فقط ـ كانت هناك مراكز اخرى تبحث لترى ماذا يجري •

كانت سفن الاسطول السوفياتي المرابطة في المتوسط تراقب الوضع عن كثب وكذلك الأسطول السادس الأمريكي الذي بعث بحاملات طائراته المجهزة باحدث المعدات الالكترونية لتتقصى الحقائق وعلى رأسها سفينة « ليبرتي » •• ويجب الا يغيب عن بالنا الدور الذي لعبته هذه الحاملة فقدمت لاسرائيل خدمات جلى في مجال الرصد مما كشف القناع عن وجه امريكا المتحيز •• وشاركت المراكز البريطانية في العملية واوعزت الى محطاتها في جبل ترودس في قبرص ان تراقب الوضع بدقة متناهية •

كانت عمليات التشويش تستخدم منذ وقت طويل ، ومنذ الحـرب العالمية الثانية اقدم الانكليز على العمل بها .. فهي تقطع ارسال الرادار او تشوش عليه او تخدع العدو بان تظهر على شاشات راداراته معلومات خاطئة .. ولم يكن الاسرائيليون يجهلون فن تضليل العدو .. فقد بث الانكليز معلومات اذاعية خاطئة الى الطيارين الانكليز اثناء الحرب العالمية الثانية .. وتبعهم الاسرائيليون فبثوا معلومات مضللة على نفس الموجات .. ولتحقيق هذا كانت الضرورة تدعو الى وجود فرقة المانية كفء للقيام بذلك .. وقد تم تأمين هذا من اليهود الالمان الذين هربوا من المانيا قبل الحرب .

ويمكننا ان نؤكد بكل ارتياح ان تقنية التشويش ووسائل اخرى موجهة لتضليل العدو لم تعد تعتبر من الوسائل السرية للاختصاصيين الاسرائيليين .

ونجح الطيران الاسرائيلي بتعطيل ٢٣ محطة رادار مصرية (منها ١٦ في سيناء) ولكن العملية لم تتم قبل بعد ظهر يوم الاثنين .. ومن المحتمل ان تكون عمليات التضليل قد تمت قبل الساعة الثامنة الا ربع من يوم الاثنين حتى لا تثير الشكوك . ولا نستطيع ان نشك في ان الاسرائيليين بذلوا كل ما عندهم من دهاء وخبث لتعطيل شبكات الرادار المصرية وساعدهم على ذلك ما قدمه لهم الانجليز والامريكيون من اجهزة في هذا المجال .

وما ان بلغت المجموعة الاولى من طائرات اسرائيل هدفها حتى كانت المجموعة الثانية في طريقها الى الهدف والمجموعة الثالثة تستعد للاقلاع . توالت الاسراب كل عشر دقائق . يتكون كل سرب من اربع طائرات ويحلق فوق الهدف سبع دقائق وهذا ما يسمح له بالعودة اليه مرتين او

ثلاث : ترمي القنابل في المرة الاولى وتعود فيما بعد لتتأكد من الاصابة ومدى فاعليتها ... ويحق للطيارين ان يقاتلوا ثلاث دقائق فقط اما لتصحيح خطأ محتمل او للقيام بمرور اضافي فوق الهدف .. فلكل دقيقة حسابها ويجب استعمالها كليا والاستفادة منها الى اقصى حد ممكن .

اما بالنسبة للطائرات التي هاجمت القواعد الهامة في منطقة قناة السويس ، فكانت تعمل على الشكل الآتي تقريبا :

الوقت من القاعدة الى الهدف : حوالي اثنين وعشرين دقيقة ونصف .

التحليق فوق الهدف : حوالي سبع دقائق ونصف . الوقت اللازم للعودة الى القاعدة : حوالي عشرين دقيقة . البقاء فوق المدرج : سبع دقائق ونصف . المجموع : حوالي سبعة وخمسين دقيقة ونصف .

معنى هذا ان الطائرات الاسرائيلية كانت تعود للضرب من جديد باقل من ساعة بعد تسديد الضربة الاولى .

وللسهر على البلاد والدفاع عن قواعده ، لم يترك الجيش الجوي الاسرائيلي الا اثنتي عشرة طائرة : تقوم ثمانية منها بدوريات متواصلة في سماء اسرائيل واربعة على استعداد لمجابهة اي خطر محتمل او اي عطل قد يطرأ على الطائرات المقاتلة . كانت القضية قضية موت او حياة .. انتصار او دمار .. ولكن الاخطار درست بدقة ولو ان اسرائيل كانت متخوفة من اندحارها لما وجهت تلك الضربة للطيران العربي .

كان الطيارون الاسرائيليون يحلقون ويحلقون فوق الهدف حتى يتمكنوا من اصابته مباشرة والحاق افدح الأضرار بالعرب . كانوا يمارسون بمهارة اسلوب القصف العامودي وعن هذا حدثنا الجنرال وايزمن

فقال : « من اجل هذا الاسلوب لم نكن نحتاج للقاذفات الثقيلة ولم نحاول ان نصيب الطيران المدني فالطائرات المقاتلة افضل وهي امهر في تدمير الطائرات والمنشآت فوق الأرض ٠٠ » ٠

ان واقع تدمير الطيران المصري كله تقريبا قبل ان يحلق لا يعود فقط الى الضربة المفاجئة التي وجهتها اليه اسرائيل ، بل الى قنبلة صنعتها هذه الاخيرة ومعدة خصيصا لتعطيل مدارج الاقلاع ٠٠ اذ ما ان تدخل الباطون حتى تنفجر في داخلها قذيفة وتحطم كل ما حولها وللقنبلة جهاز خاص تعمل به ويستخدم لتوقيت البرهة التي تريدها ان تنفجر فيها ٠٠ وليس من الصعب جدا اصلاح مدرج الاقلاع في الاوقات العادية ويستحيل ذلك عندما يكون هناك خوف من انفجارات اخرى ستأتي ٠

تكمن فائدة هذا السلاح بانها تسهل قصف مساحات الهبوط اثناء الطيران المنخفض وبسرعة مرتفعة جدا ٠٠ ان القاء القنبلة التقليدية لا يتسبب باضرار بالغة لان هذه الاخيرة ما ان تلامس الأرض حتى تقفز ولا يؤثر انفجارها كثيرا على المدرج ٠٠ كما انها تجنب الطيار الاسرائيلي النزول العامودي فوق بطاريات المدافع التي تقوى اثناء القصف العامودي ٠٠ ومع ان جميع طائرات اسرائيل لم تكن مزودة بمثل هذا الجهاز الحديث الا ان جميع مدارج الهبوط كانت قد دمرت نتيجة القصف العامودي من ارتفاع ٢٠٠٠ متر والقنابل التي يتراوح وزنها ما بين ٢٥٠ و ٥٠٠ كيلوغرام ٠

وهكذا دمرت الطائرات المصرية بعضها بالمدافع وفي الاجواء والباقي وهو لا يزال فوق ارض المطارات ٠

كان قصف المدافع المضادة للطائرات اقل بكثير مما توقعه الطيارون الاسرائيليون ولم يكن يعمل بدقة وتحديد ٠

لقد اطلق المصريون بعض صواريخهم سام ـ ٢ من صنع سوفياتي والموجهة من الارض الى الجو ، ولكنهم لم يتمكنوا من اصابة اية طائرة مقاتلة اسرائيلية ٠ ولا تزداد سرعة هذه الصواريخ الا تدريجيا ولا تعطي اية فعالية ما فوق ١٣٠٠ مترا ، اخبرنا طيار اسرائيلي انه شاهد شيئا ما بالقرب منه فظنه طائرة معادية وعندما حاول الابتعاد عنها اذا به يشاهد صاروخا من هذا الطراز يطير باتجاهه ٠٠ ودون ان يضيع دقيقة واحدة من وقته ارتفع وتركه يمر من تحته ٠٠ واكمل الصاروخ طريقه واختفى ٠ ويعتبر سام ـ ٢ حاليا السلاح الهام من طراز سوفياتي في الدفاع الجوي ٠٠ وقد جعل عدم فاعليته الغربيين يستولون على قسم كبير منه مما اقلق بال الخبراء السوفيات ٠٠

كان سكان اسرائيل يتخوفون كثيرا من هذه الصواريخ الموجهة من الأرض الى الأرض والتي هدد ناصر بقصف تل ابيب بها ٠ كنا نعلم منذ سنوات ان مجموعة من العلماء الالمان وغيرهم من بلدان اخرى تعمل في مركز للابحاث انشأه عبد الناصر بالقرب من القاهرة وكانت هذه الصواريخ تحتل مكانا بارزا اثناء الاحتفالات بعيد الثورة ٠٠٠ ولكنها لم تستعمل من قبل ولم يشر احد الى استخدامها وربما كان ذلك مجرد وهم وحسب ٠

لم يستفد الطيران الاسرائيلي من الفرصة التي اتيحت له فيضرب مراكز الابحاث حيث كانت تعد ـ كما يقال ـ الاطنان من الغازات التي استخدمت في حرب اليمن ٠٠ وقد اعلن احد الضباط اسفه لذلك وقال : « سنعيش طويلا والندم يتأكلنا لاننا لم نضرب ذلك المركز » ٠

استمر قصف المطارات المصرية ثمانين دقيقة بدون توقف ، وبعد توقف دام عشرة دقائق عاد القصف الفجائي واستمر ثمانين دقيقة اخرى ٠٠٠

وبمدة ساعتين ونصف كان الطيران الاسرائيلي يدمر قوة الطيران المصري الدفاعية وجعلها مبدئيا عاجزة عن العمل .

بلغ عدد المطارات المدمرة في اليوم الأول من الحرب ١٩ مطارا وبالاضافة الى المطارات التي سبق ذكرها قبلا وهنا نضيف : المنصورة ، حلوان ، المنيا ، المازا ، لوكسور ، دافرسوار ، هورغادا ، راس باناس ، ومطار القاهرة الدولي ، وكلها اصيبت يوم الاثنين .

وتقدر المصادر الاسرائيلية الرسمية ان مصر خسرت ثلاثمائة طائرة في ١٧٠ دقيقة بينها ٣٠ توبولوف ـ ١٦ وهي اقوى القاذفات التي تملكها مصر .

ولم ينج من القصف الا قاعدة العريش الكبرى في سيناء اذ كان الطيران الاسرائيلي يفكر باستخدامها كمحطة تموين ويجلي الجرحى والمصابين اليها .

دمرت الطائرات الاسرائيلية الطائرات المصرية ولكنها لم تمس على الاطلاق « الطائرات ـ الخديعة » وربما كان التمويه عاطلا جدا او ان الاستخبارات الاسرائيلية كانت تعلم مسبقا بها وتنبهت اليها . واخبرنا طيار اسرائيلي ان اثنتين فقط اصيبتا ولكن الطائرات الحقيقية دمرت فعليا ولم يتبق منها الا الحطام .. اما فيما يتعلق بمطارات شبه سيناء فلم يحدث اي خطأ من هذا النوع اذ ان شبكة الاستخبارات الاسرائيلية كان تفوق مخابرات مصر وخاصة في تلك المنطقة . قدر خبراء الحربية الاستراتيجية الاسرائيلية ان السفن السوفياتية التي تعبر الابيض المتوسط ستسمح لهم باعطاء جميع المعلومات التي يتلقونها من عن الجيش المصري

وينقلونها الى مقر قيادتهم .. وقدر الجنرال هود ، بنفس الطريقة ، ان امامه ساعتين فقط لتصفية الجيش المصري قبل تدخل الطيران الأردني والسوري في المعركة .. ولم يتدخل هذا الا عند الظهر واصبح امام هود اربع ساعات بدلا من ساعتين .. وعند الظهر كان الاسرائيليون قد تمكنوا من تحطيم مطارات مصر في سيناء وغيرها وبامكانهم الآن ان يوجهوا مقاتلاتهم ضد القادم الجديد والذي تأخر بالدخول الى المعركة ..

قال احد الضباط بخبث ولؤم : « لم تستمر المعركة بيننا وبين الأردن وسوريا سوى خمسة وعشرين دقيقة » .

بعد ظهر اليوم الاول هاجم الطيران السوري مصفاة للبترول في حيفا وقصف مطار ماغادو بالقنابل الثقيلة ولكن الاضرار رغم جسامتها كانت ادنى مما تكبده السوريون وهم في طريق عودتهم حيث لحقت بهم الطائرات الاسرائيلية وقصفتهم على مشارف دمشق .

وفي نفس الوقت كان الطيران الأردني يقصف مطارا من الدرجة الثانية في كفار سركين ولم يتمكن الا من تدمير طائرة نقل تابعة لشركة « اطلس » .. ورد الاسرائيليون على الهجوم فقصفوا مطار عمان والمفرق والحقوا بهما اضرارا فادحة وعطلوا محطة رادار في عجلون .

وفي نفس الليلة عاد الطيران الاسرائيلي يقصف المطارات المدمرة المصرية مستخدما القنابل السريعة الانفجار وذلك كي لا يمكن المصريين من اصلاح ما تهدم من مطاراتهم بسرعة ... واستمرت الهجمات دون توقف طول الليل .

وفي صباح اليوم التالي قصف الطيران العراقي ناتانيا في اسرائيل ،

ورد الطيارون الاسرائيليون بنفس القوة ودمروا قاعدة (هـ ـ ٣) القريبة من الحدود الاردنية العراقية ٠

وفي مساء ذلك اليوم اعلن متحدث اسرائيلي رسمي ان طيرانهم دمر ٤١٦ طائرة عربية منها ١٩٣ فوق مدارجها ٠ واشترك الطيران اللبناني برهة في الحرب فخسر طائرة واحدة ولم يعاود الكرة ٠

قامت الطائرات الاسرائيلية في اليومين الاولين من الحرب باكثر من الف اقلاع وكان بعض الطيارين يشترك في المعركة ثمان مرات يوميا ٠٠ ومساء يوم الثلاثاء خسر الطيران الاسرائيلي ٢٦ طائرة و ٢١ طيارا وقع اكثرهم اسرى في مصر وفي سوريا ٠٠ واعاد العراق طيارين اسيرين واعادت سوريا اثنين آخرين ايضا ٠٠ وفي مصر قتل اسير واعيد آخر ولا زالت المفاوضات مستمرة من اجل اعادة اثنين آخريـن ٠ ورفض اثنان مـن الطيارين الاسرائيليين الذين تحطمت طائراتهم فوق سوريا ، رفضوا التقيد بالمعلومات الصادرة اليهم من برج المراقبة الاسرائيلي عندما طلب اليهـم القفز بالمظلات والخلاص بانفسهم وفضلوا الموت في طائراتهم بدل ان يقعوا اسرى في ايدي السوريين ٠

ويقال ان هذين اليومين فقط كلفا الجيش المصري اكثر من خمسماية مليون دولار ثمن طائرات يضاف اليها ثمن المحطات الأرضية و ٢٣ محطة رادار والعديد من الصواريخ ، منها ١٦ في سيناء ٠ رغم كل ذلك من المعقول اصلاح الدمار اذا رغبت روسيا في ذلك ويعود الجيش المصري الى ما كان عليه في مدة لا تتجاوز الستة اشهر ٠

ليس المال كل شيء في الحرب ويلزم الطيارين المصريين عدة سنوات

حتى يستعيدوا معنوياتهم وحيويتهم ٠٠ وتؤكد بعض المعلومات ان ١٠٠ طيارا مصريا من اصل ٣٥٠ لاقوا حتفهم اثناء الغارات الخاطفة ٠٠ فقد مات الكثيرون في طائراتهم الميغ ٢١ عندما تدمرت وهي في طريقها الى الاقلاع ٠٠ ومن المحتمل جدا ان يكون بينهم الكثير من ذوي الخبرة والدراية في شؤون الطيران ٠

لم يكن عبد الناصر يجهل ان الطيران الاسرائيلي ضعيف اذا ما قيس بالطيران المصري ٠ كانت اسرائيل تملك حوالي ٣٠٠ طائرة منها ٦٠ للتدريب (فوغا ماجستر) (١) ومزودة برشيشات مضادة ٠٠ ومع ذلك تغلبت القوى الجوية العسكرية الاسرائيلية على مصر مما يدعو الى الدهشة والحيرة وجلبت الدمار ٠

وفي خطاب استقالته مساء ٩ حزيران اعلن الرئيس عبد الناصر :
« كانت الضربة اقوى مما كنا ننتظر ويمكننا ان نؤكد بانها جاءت اكبر مما كانت تسمح به قواته امام العدو (٠٠٠) لقد دمرت مطارات الجمهورية العربية المتحدة في نفس الوقت وهذا يعني انه كان لدى العدو قوة تسمح له بحماية اجوائه ضد الرد من جانبنا ٠٠ ويمكننا القول ، دون مبالغة ، انه كان تحت تصرف العدو قوات جوية تفوق قواته العادية ثلاث مرات ٠٠٠

الا يجد القارىء في هذا التصريح حلا لسر انتصار اسرائيل على العرب ؟ وعندما يتحدث عبد الناصر عن قوة تضاهي قوة العرب ثـلاث مرات ، معنى هذا انه دون شك يحكم على سير الطائرات المصرية اثنـاء

---

(١) Fouga Magister

المناورات .

حصلت المخابرات الاسرائيلية في العريش على خطط الطيران المصري السرية وتبين لهم انها وضعت تمشيا مع الوقت الـذي يلـزم للطيارين ليقوموا بنفس المسافة والعكس بالعكس وربما تم ذلك في مدة ساعة او اقل . يضاف الى ذلك ان المسافة من سيناء الى اهم القواعد الجوية الاسرائيلية هي اقل من المسافة التي تفصل بين مطارات القاهرة او قناة السويس .. وبينما كانت الطائرات الاسرائيلية تبقى على الأرض سبعة دقائق ونصف بين مهمة واخرى كانت الطائرات المصرية تستغرق ساعتين للقيام بنفس العملية .. كان المصريون يقومون برحلتين يوميا بينما كان الطيارون الاسرائيليـون يقلعون ثمانية مرات يوميا وربما اكثر في اليومين الاولين من الحرب أليس هذا التفاوت كافيا ؟ ولعل انتصار اسرائيل يكمن في هذه الوقائع المذهلة .

ولا شيء يدعو الى العجب اذا كان عبد الناصر لم يفقه مثل هذا الفارق بين معسكر وآخر .. الا تراه يبحث عن مبرر لفشل القوات المصرية عندما يتهم امريكا وانكلترا بالتدخل الى جانب اسرائيل ؟ وهل كان فعلا يؤمن بمثل هذا التدخل ، ويوم ٩ حزيران نشرت الاستخبارات الاسرائيلية محادثة هاتفية بين الملك حسين والرئيس عبد الناصر وكانت قد التقطتها يوم الثلاثاء الماضي ... وننقل الآن مقطعا منها :

عبد الناصر : كيف حالك يا اخي وماذا عن المعارك في الجبهة ؟ هل ستصرح جلالتكم بشيء عن تدخل الامريكيين والانكليز ؟

الملك حسين : (جواب غير مسموع) .

عبد الناصر : آلو ، هل تقول امريكا وانكلترا او امريكا فقط ؟

حسين : امريكا وانكلترا .

عبد الناصر : هل لدى انكلترا حاملات طائرات في المنطقة ؟

حسين : (جواب غير مسموع) .

عبد الناصر : سيدلي الملك بتصريح وادلي انا بآخر .

عبد الناصر : سنقاتل بكل قوانا . لقد استمرت المعارك على جميع الجبهات طوال ليلة امس .. واذا كانت هناك بعض الصعوبات فانها لم تحول دون انتصارنا ... سننتصر .. ان الله معنا .

عبد الناصر : هل ستدلي جلالتكم بتصريح حول تدخل الانكليـز والامريكيين ؟

حسين : (جواب غير مسموع) .

عبد الناصر : قلت انني سادلي بتصريح وتدلي انت بآخر وسنعمل على ان يصدر السوريون بيانا يقولون فيـه ان الطائرات الامريكيـة والانكليزية تقلع من فوق حاملات الطائرات وتشارك في القتال ضدنا . سنصدر بيانا ونحدد الموضوع .

حسين : مفهوم . اتفقنا .

عبد الناصر : الف شكر .. لا تتراجع . اننا معك من كل قلبنا وستغير طائراتنا اليوم على اسرائيل .. انها تهاجم منذ الصباح مطارات العدو .

لم يصدق عبد الناصر للوهلة الأولى ان طائراته قد دمرت • وتظهر لنا هذه المحادثة انه يحاول بشتى الطرق الصاق تهمة التدخل بالانكليز والامريكيين الى جانب اسرائيل وانه يود ان يجر الملك حسين الى هذه المغامرة •• ولذلك راح يتحدث اليه عن نشاطات الطيران المصري •• ولكنها لم تكن موجودة الآن •• ومنذ نهاية الحرب اتيحت الفرصة للملك حسين فصرح في لندن انه لا يؤمن بقصة التدخل الامريكي ـ الانكليزي •• وبعد يومين فقط من تصريح حسين ، اي يوم ٤ تموز ، كان محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة يدلي بهذا التصريح الى مراسل جريدة التايمز الانكليزية في القاهرة •

« هل تعتقدون حقا ان قاذفات او طيارين انكليز اشتركوا في هجمات تهدف الشعب العربي ؟ » واجاب رياض : بان ليس لديه دليل على ذلك وان العرب لا يعلقون اهمية كبرى على هذه المسألة •

وكان ذلك بعد ان اكدت له اهمية الموضوع بالنسبة لبريطانيا » •

لم يقبل الروس عى الاطلاق باسطورة التدخل الانكلو ـ امريكي •• ومن المؤكد انها كانت تزعجهم جدا وهكذا نلاحظ انها فشلت من اساسها ولم تبلغ هدفها • اي جر السوفيات الى المعسكر العربي وقد رفضت الاردن ومصر مثل هذا •• ولا زالت قضية التدخل تتفاعل وتلاقي من يصر على صحتها في الطبقات الشعبية في العالم العربي •

ويقال ان عبد الناصر فكر باحتمال حدوث معركة جوية فوق سيناء ، تكون شبيهة بمعركة انكلترا ، بالاضافة الى معارك جانبية وفردية كما كان يحدث في الزمن القديم •

ولنفرض ان اسرائيل لم تقم بهجومها الخاطف ، فان مصير الجيوش العربية كان معروفا ••• وتقول المصادر الاسرائيلية انه حدثت اربعة وستين معركة جوية فردية دمرت خمسين طائرة ميغ مصرية ولم تصب اية طائرة ميراج اسرائيلية بأذى •

ان كل ما خسرته اسرائيل من طائرات قصفته المدفعية المصرية المضادة وسواء كان ذلك اثناء طيرانها او اثناء القصف العامودي • وكرر الجنرال هودقوله : « كانت النتيجة ٥٠ الى صفر • فقد حطمنا خمسين طائرة دون ان نخسر واحدة •••

كيف استطاعت اسرائيل ان تحقق هذا النصر الكبير في مدة قصيرة ؟ وما هي الاسباب كما شرحها لنا الجنرال هود •

١ ـ امضينا ستة عشر سنة نعمل بصمت وجد • وكانت النتيجة ما قمنا به في مدة ٨٠ دقيقة •• لقد عشنا واكلنا ونمنا مع الخطة وكنا نعمل على اكمالها دون انقطاع •

٢ ـ قدمت لنا استخباراتنا معلومات كافية ومفصلة اكان ذلك حول قواعد العدو وعملها او حول العمليات الجوية ونقل صواريخه ومحطات راداره •

٣ ـ يعود النصر النهائي الى خدمات المراقبة العملية اي الى تخزين ودمج المعطيات الجديدة التي ترد علينا ثم ارشاد الطيارين الى اهداف جديدة تطلعنا عليها مخابراتنا •

٤ ـ ويعتبر تنفيذ الطيارين للخطة بدقة عامل رابع وهام في النجاح •

لقد استغرق عملنا هذا سنوات عديدة من التدريب : الطيران ، الملاحة الجوية والدقة في الوصف . « كنا قد توقعنا ان نحصل على نتائج في ايام الحرب تقل ٢٥٪ عن النتائج في ايام السلم، نظرا للعصبية التي خلقتها شروط المعركة ومدفعية العدو المضادة .. ولكن هذه النتائج جاءت اقوى مما كانت في ايام السلم .. وربما لان الطيارين يعملون من كل قلبهم ولا يتوخون لاالدقة في اصابة الهدف .. وهذا ما جعلهم لا يأبهون بقواعد الأمن الجوي المعمول بها ايام السلم .. كم كنا نود لو أن كل طائرة لنا اسقطت طائرة للعدو .. وقد تجاوز طيارونا هذا الرقم اكثر من مرة . وبالفعل استطاعت طائرتان اسرائيليتان اسقاط ستة عشر قاذفة في مدة ٤ دقائق فقط .

كان الطيارون الاسرائيليون يتدربون منذ زمن طويل على مثل هذا النوع من الهجوم .. واعدت لهم مطارات خاصة في جنوب النقب للمناورة بالذخيرة الحية .. ويقومون كل ستة بغارة من هذا النوع . ومن اجل ذلك لم يخطأ احدهم الهدف المحدد له في اللحظة المعينة .

ولكن نوعية الانسان ودرجة الاعداد العالي ليست مهمة فقط في الاجواء ، بل مهمة ايضا على الأرض . ان تجهيز الطائرة وتزويدها والقيام بمهمتها والعودة الى قاعدتها فقط لسبعة دقائق ونصف ثم الاشراف على سير الاسراب التي بلغت حوالي الخمسمائة يوميا ، كل هذا يتطلب جهدا فائقا وتناسقا في العمل ، ونذكر هنا بالعبارة التي قالها لنا الجنرال هود بعد انتهاء الحرب : « صباح يوم الاثنين ، في الثامنة الا ربعا ، كانت مقاتلاتنا جاهزة بنسبة ٩٩٪ وقد حافظت على هذا المستوى طيلة اسبوع

الحرب ، ورغم انه كان يلزمنا بعض الوقت لاصلاح ما تصاب به طائراتنا من اضرار خفيفة الا ان طيارينا لم يبقوا على الأرض بانتظار طائرة عندما تصاب طائراتهم باذى .. فالطائرات الاضافية جاهزة دائما لحين الطلب . »

ويخبرنا الجنرال وايزمان بالحادثة الطريفة التالية :

« زار اسرائيل قبل الحرب بثلاثة او اربعة اشهر عدد من طلبة كلية الطيران الامريكية العليا وكانوا قد زاروا القاهرة قبلا وكوّنوا فكرة مريعة عما سمعوه وكذلك عندما زاروا الملك حسين في الاردن . وعندما اجتمعت اليهم رويت لهم اننا اعتدنا القول اثناء الحرب العالمية الثانية : « الالمان يحيطون بنا ويا ويلهم ! » ثم اضفت : « ونفس الشيء يتكرر اليوم : العرب يحيطون بنا مرة ثانية ويا ويلهم .. » .

صباح الخامس من حزيران ، وعند الساعة الحادية عشرة تقريبا ، كان الجيش المصري الجوي قد انتهى . لم يعد بامكانه حماية الجيش البري في سيناء او ان يقدم له اية مساعدة فعلية . وكانت اسرائيل في سباق جديد الآن ضد الوقت .. اذ لازالت احداث عام ١٩٥٦ تحز في نفوس كبار المسؤولين الاسرائيليين .. ولا زالوا يذكرون اليوم الذي انسحبوا فيه خجلين تحت ضغط كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . كان المخطط الاسرائيلي يرتكز كليا على فكرة التصرف بسرعة والضرب بقسوة. ولكن الفرنسيين والانكليز لم يكونوا متحمسين جدا لمثل هذه الفكرة .

وبعد ثمانية واربعين ساعة لم يكن الاسرائيليون يحتاجون الى شيء .. فقد أخذوا على عاتقهم ، في هذه الفترة بكسر العمود الفقري لجيش

قوامه مائة الف رجل حشده عبد الناصر في سيناء • (وكان ذلك ايضـا يكفي لوصولهم الى ضفة القناة واستيلائهم على شرم الشيخ واحتـلال القدس والضفة الغربية لنهر الاردن •) ولكنهم هل كانوا فعلا يملكون الثمانية والاربعين ساعة هذه ؟ وابدى موشى دايان قلقا ما امام هـذا التساؤل !

الفصل الخامس

الهجوم البحري

بدأ هجوم الاسطول البحري الاسرائيلي يوم ٥ حزيران ليلا •• وفي الوقت الذي كانت فيه وحدة مؤلفة من طرادين وبعض قاذفات الطوربيد تقترب من بور سعيد، كان زورقان مصريان محملان بالصواريخ يغادران المرفأ ويسيران للقائها • فتحت المراكب الاسرائيلية النار من مدافع عيار ٣٠ مم • فعاد الزورقان المصريان على اعقابهما دون ان يطلقا رصاصـة واحدة •• وقد تمكن القصف الاسرائيلي من اصابتهما وتعطيلهما • دخل رجال الضفادع الاسرائيليون الى المرفأ حيث ظنوا انهم ملاقون ، عدا قاذفات الصواريخ ، ثلاث قاذفات طوربيد وثلاث غواصات ، ولكنهم لم يستطيعوا اكتشافها • لم يعثروا الا على ناقلتي بترول ولكنهم لم يمسوهمـا نظرا للخسائر الفادحة التي ستحل بسكان المدينة اذا هم فجروهما • واقـام الاسطول الاسرائيلي حراسة ليلية عند مدخل المرفأ مخافة ان تبعث البحرية المصرية تطلب المعونات من مرفأ الاسكندرية ولكن شيئا من ذلك لم يحدث•

ربما لم يكن ذلك الهجوم على بور سعيد عملا ناجحا من ناحية القتال، ولكنه سمح بتحقيق هدف مهم : حماية تل ابيب من خطر البحرية المصرية التي بامكانها ان تضرب على مسافة ٥٠ كيلومتـرا وبقنابل يبلـغ وزن الواحدة ٥٠٠ كيلوغراما من المتفجرات • وفي صباح اليوم التالي ، قررت البحرية المصرية اخلاء بور سعيد وسحب جميع قطعها الى ميناء الاسكندرية •• ووجودها هناك يجعل تل ابيب خارج مرمى الصواريخ من طراز اوسا او كومار •

وفي الساعة المحددة ، وحيث كانت المراكب الاسرائيلية تتقدم امام بور سعيد ، استطاعت الغواصة الاسرائيلية الوحيدة ان تتغلغل حتى مشارف مرفأ الاسكندرية .. وخرج منها مجموعة من رجال الضفادع واستطاعوا الدخول الى المرفأ .. كانت ليلة حالكة السواد تصلح لمثل هذه العمليات المدروسة بدقة . وتقول المخابرات الاسرائيلية ان هذه الدورية استطاعت ان تعطل ، ان لم تدمر ، عوامتين وقاذفتي صواريخ من طراز اوسا .

ومع ان الغواصة الاسرائيلية انتظرتهم حتى مطلع الفجر قبل ان تبحر الى اعالي البحر ، الا ان الرجال لم يعودوا .. وعادت الغواصة الى قواعدها كما كان متفقا عليه في حال لزوم وقت اضافي للدورية لاكمال مهمتها ..

وفي اليوم التالي اعلنت صحيفة الاهرام الرسمية ان اربعة رجال ضفادع اسرائيليين فوجئوا في مياه بور سعيد وتم اسرهم . كما تم القاء القبض على اثنين آخرين فيما بعد . ويعتقد انهما كانا يبحثان عن زورق يخرجهما من هذه الورطة .

لكن البحرية المصرية — على حد قول الاسرائيليين — لم تقم بأي عمل دفاعي الا ليلة السادس من حزيران ، حيث اقتربت ثلاث غواصات مصرية من السواحل الاسرائيلية : واحدة في شمال حيفا ، وواحدة في الجنوب ، والأخيرة كانت على بعد خطوات من اشدود .. ولم يعرف احد اذا كانت الغواصة تبحث عن فريسة او ارادت انزال مخربين كما فعل الاسرائيليون امس في الاسكندرية وبور سعيد . ومهما يكن فقد استطاعت البحرية الاسرائيلية المجهزة باربع محطات رصد ، ان تكشف مراكز الغواصة المصرية وتهاجمها بالقنابل .. فاصيبت واحدة منها فقط ولكن الثلاث استطاعت العودة الى قواعدها .. اخبرنا قائد البحرية

الأسرائيلية : « كانت السفن المصرية مزودة بادق الأجهزة وبامكانها ان تتنزه بكل هدوء في مياهنا الاقليمية .. » .

كان من المحتمل ان يحدث هجوم بحري ، يسانده المظليون ، ليلة الاثنين ضد العريش ، اهم قاعدة عسكرية وتموينية للمصريين في سيناء . ومع ذلك فقد الغيت العملية يوم الاثنين بعد الظهر نظرا لحشد الوحدات المدرعة تحت قيادة الجنرال تال ، والتي استولت على خان يونس ورفح على طريق العريش .. وعاد المظليون الى القدس اذ ان القوات الاردنية بدأت هجومها هناك وبعد ساعة فقط من بدء المناوشات بين مصر واسرائيل .

يبلغ عدد سكان اسرائيل مليونين ونصف المليون ، وتخصص كل ميزانيتها لجيوشها البرية والجوية ولا تخص البحرية الا بالنذر اليسير . ويتندر الاسرائيليون ويقولون : « لماذا نشتري السفن ؟ سنأخذها من العدو ساعة نشاء .. فقد استولينا على الطراد « ابراهيم عوال » سنة ١٩٥٦ وسنحصل على غيره ... » .

وفي الوقت الذي كان المصريون يحشدون فرقهم العسكرية في سيناء ، كانت البحرية الاسرائيلية لا تملك سوى ٤ طرادات وثلاث غواصات ، كلها صنعت قبل الحرب العالمية الثانية .. وكان عدد البحارة يفوق بمرتين عدد المراكز المعدة لهم .. وابتداء من ١٩ ايار بدأت البحرية الاسرائيلية تنشط : فانشأت قاعدة بحرية جديدة في اشدود تتسع لعدد كبير من السفن والغواصات وزودتها بمراكز رادار ومدافع مضادة من مختلف الانواع .

ويوم اندلعت الحرب كانت القوات البحرية عند مصر واسرائيل على هذا الشكل :

نوع السفن	اسرائيل	مصر
كاسحات الغام	٣	٧
غواصات	٣	١٢
قاذفات صواريخ	—	١٨
مضادات للغواصات	١	١٢
قاذفات طوربيد	٨	٣٢

وبسبب ضعفها العددي وحداثة موادها لم تجد البحرية الاسرائيلية بدا من اللجوء الى الخدعة الحربية • كان هدفها الأول ابعاد اكبر عدد ممكن من السفن المعادية من البحر الأبيض المتوسط التي كانت تشكل خطرا بالغا على سكان تل ابيب والساحل بكامله •• ولذلك قرر الاسرائيليون ارسال اربع بوارج الى ايلات ، في خليج العقبة •• وفي نفس الليلة وصلت البوارج على مسافة ١٥ او ٢٠ كلم من المدينة متسترة تحت ظلام الليل •• وكرر الاسرائيليون هذه العملية عدة مرات واقتنع المصريون من ان اعداءهم يودون مهاجمة شرم الشيخ ، بحريا ، كما فعلوا سنة ١٩٥٦• (كان مجال عمل السفن الاسرائيلية يسمح لها بالذهاب الى شرم الشيخ والعودة شرط ان تهب الريح من الشمال عندما ينزلون الخليج وتعود لتهب من الجنوب عندما يغادرونه •) •

وفي اول يوم من ايام الحرب كان ثلث الاسطول المصري يعبر البحر الاحمر وبالتالي بعيدا عن تهديد اسرائيل وشوهد طرادان مصريان ، في ٣ حزيران ، يعبران قناة السويس باتجاه البحر الأحمر ، قبل بدء المناوشات بيومين • والعملية الوحيدة التي قامت بها هذه المجموعة من البحرية

المصرية — والتي كانت تضاهي كل قوة اسرائيل بحريا — هي ان ارسلت اسطولا يتكون من مدمرتين وست قاذفات طوربيد لتعبر خليج العقبة •• وصل الاسطول الى منتصف الطريق فتردد وغير وجهته •• كان هذا تصرفا حكيما لان الزوارق الاسرائيلية الثلاثة كانت قد اعدت لها فخا على بعد ٢٠ ميلا من جنوب ايلات •

وعندما انتهت الحرب عجزت القوات البحرية المصرية ، الموجودة في البحر الأحمر ، عن العودة الى قواعدها في البحر الأبيض المتوسط ، فقد اقفل الرئيس عبد الناصر قناة السويس ومنع المرور فيه •• وقررت السفن المصرية العودة والذهاب الى ميناء الحديدة ، في اليمن ، في اقصى جنوب البحر الأحمر •

وبعد ظهر يوم الخميس الواقع في ٨ حزيران كانت السفينة الامريكية (ليبرتي [1]) — والمزودة بادق الأجهزة الالكترونية — تسير بسرعة ٥ عقد باتجاه غرب — شمال — غرب ، وعلى مسافة ١٤ كيلومترا من سواحل سيناء بالقرب من العريش • وفي نفس اليوم صدر بلاغ عن وزارة الدفاع الامريكية جاء فيه :

« تركت ليبرتي قاعدة روتا الاسبانية ووصلت هذا الصباح الى قواعدها لتؤمن الاتصال بين مختلف المراكز الدبلوماسية الامريكية في الشرق الأوسط وتستخدم كمركز لجمع المعلومات المتعلقة بالرعايا الامريكيين المقيمين في الشرق الاوسط • » •

ولا احد يعرف (ولن يعرف الى الابد) لماذا لم تعد الاجهزة الدقيقة الموجودة في السفارات الامريكية كافية لتقوم بالمهمة ، وفجأة انطلقت

---

(١) Liberty

الطائرات الاسرائيلية من الافق واغارت على ليبرتي وراحت تقصفها ٠٠ ثم احاطت بالسفينة بعض الزوارق من جميع الجهات واصطدم بعضهـا بمقدمة السفينة والحق بها اضرارا بلغت ١٢ متر طولا ٠٠

تبين الاسرائيليون انهم اخطأوا الهدف وتوقفوا عن الضرب ٠ وكانت حصيلة القصف على ظهر السفينة مقتل ٣٤ جنديا وضابطا و ٧٥ جريحا ٠٠ وبلغ عدد النتوءات في ليبرتي ٨٢١ واشتعلت النيران في مقدمتها ٠

طلبت احدى الزوارق بالشيفرة الى ليبرتي اذا كانت تحتاج الى مساعدة ٠٠ وجاء الرفض بالنفي وبعد نصف ساعة ابحرت ليبرتي بسرعة ١٠ عقد في الساعة وقد تم اصلاح العطب فيها بصورة مؤقتة ٠

كثرت التفسيرات حول وجود ليبرتي في المتوسط وقال المراقبون انها كانت تتجسس على سير العمليات الحربية العربية وتنقل الخطط الى اسرائيل وتشوش على الرادار المصري وا نللمخابرات المركزية ضلع في اعداد هذه الخطة منذ مدة ٠ وان اطلاق النار عليها من القوات الاسرائيلية لم يكن الا تغطية امام الرأي العام العالمي ٠ وانكر الاسرائيليون ان كان لهم علم بذلك وكذلك نفى الامريكيون ان تكون السفينة ارسلت الى المنطقة في مهمة عسكرية واكدوا في اكثر من تصريح ان الهدف كان مجرد المحافظة على رعاياهم في المنطقة فقط ٠

وحتى الآن لم يكشف النقاب عن الاسرار التي كانت على ظهر ليبرتي وعن الدور الذي لعبته في تأزم الوضع في الشرق الاوسط ٠

الفصل السادس

فن التعبئة

اجتاح كثيرون من الغزاة صحاري سيناء منذ الاسكندر الكبير وهو في طريقه الى مصر وحتى نابوليون الذي عاد جيشه الى عكا بعد انتصاره على المماليك وحيث قال لهم : « ايها الجنود ، ان اربعين قرنا يتطلعون اليكم من فوق هذه الاهرامات » ٠ وهناك تشرد اولاد اسرائيل اربعين سنة قبل ان يدخلوا الى ارض الميعاد ، وهناك تلقى موسى لوحة الوصايا والتي كانت اساس النظام المسيحي الاسرائيلي ومنطلقا للحضارة الغربية ٠

تعتبر سيناء صحراء قاحلة مقفرة وفيها تفصل جبال الرمال والقمم العارية افريقيا عن آسيا والبحر الأبيض المتوسط عن المحيط الهندي ٠ نادرا ما تهطل عليها الامطار واغلب سكانها مـن البدو والرحل الذين يبحثون منذ قرون عن الكلأ لاطعام اغنامهم ٠

ليس هناك ما يضاهي هذه الصحراء كميدان معركة في الحرب العصرية ٠٠ فقد يلتقي فيها المتحاربون دون ان تتعرض حياة المدنيين للخطر وفيها تقوم آلاف الدبابات بالمناورات الحربية وتقضي عليها الرمال والعواصف ٠٠ وهناك نشبت اول معركة ، عام ١٩٥٦ ، بين مصر واسرائيل٠ وفي عام ١٩٦٧ عادت سيناء لتلعب دورا اكبر على مسرح المواجهة العنيفة — والتي لن ينساها التاريخ على الاطلاق — بين الصهيونية والقومية العربية ٠

وقبل الخامس عشر من ايار كانت القيادة العليا المصرية تمتلك فرقتين في منطقة سيناء : الفرقة العشرون (وتعود الى جيش التحرير الفلسطيني)

وترابط في غزة وترابط الفرقة الثانية على طول خط المواجهة مع اسرائيل • وعززت هذه القوات ، بين ١٥ و ٣١ أيار ، بوصول خمس فرق اخرى : الفرقة السابعة (منطقة رفح ــ العريش) الفرقة الثالثة (الجبل ــ ليبني ــ بيرها سانا) الفرقة الرابعة المصفحة (بير جيفغافا ــ بير التمادا) فرقة المشاة السادسة (نهر الكونتيلا) وفرقة مصفحة اخرى لا تقل شأنا عن سابقاتها وتمركزت في غرب الكونتيلا •• وعندما انتهت تحركات هذه الفرق ، جاءت الفرقة الثانية واحتشدت في منطقة (ابو عجيلة ــ قصيمة)• كان عدد افراد هذا الجيش يبلغ المائة الف رجل تسانده ما بين تسعماية والف دبابة •

يقول الجنرال تال ، قائد الجيش الاسرائيلي المصفح : « كان المصريون مرتاحين جدا من حيث الهجوم او الدفاع •• » •

فمن جهة كان بامكانهم التقدم نحو الشرق وصحراء النقب فيساندوا الوحدة السادسة المصفحة المرابطة في غرب الكونتيلا ويلتحموا مع الأردنيين •• ولو انهم فعلوا ذلك لقطعوا ايلات عن بقية اسرائيل وحرموها من مرفئها الوحيد على خليج العقبة • اما فيما يتعلق بالخطة الدفاعية ، يقول الجنرال تال : « كان المصريون يسيطرون على جميع المحاور في الصحراء بواسطة الحشود الضخمة والمواقع المحصنة والتي كان بعضها قد اعد منذ عشرين سنة ، وكان الطريق الوحيد غير المحاصر والمؤدي الى الغرب هو الذي يسير بين التلال الرملية •• وظن المصريون انه لا يمكن عبوره •

نجحت البحرية الاسرائيلية ، وكذلك الطيران باقناع القيادة العليا المصرية واجبرتها على سحب بعض طائراتها ومراكبها من الشمال ، الذي كان يجب ان يكون مسرح الحرب ، وحولتها الى الجنوب في منطقة البحر

الأحمر ، واعتمد الجيش البري الاسرائيلي على الخدعة الحربية في اكثر مخططاته • ولو نظرنا الى صورة التقطتها طائرة مصرية استكشافية قبل بدء المناوشات بأيام ، لتبادر الى ذهننا دون شك ، ان فرقة او فرقتين اسرائيليتين ، وربما ثلاثة ، كانت ترابط بالقرب من الجبهة امام الكونتيلا •

وفي الحقيقة لم يكن هناك سوى فرقة واحدة تدعمها الدبابات ولكنها غير واضحة للعيان • كان الاسرائيليون يحثون اقناع العدو بانهم ينوون ان ينزلو على طول الساحل حتى شرم الشيخ كما فعلوا عام ١٩٥٦ •• وقد نجحت هذه الخطة فعلا •

لم يستطع الاسرائيليون ، مع ذلك ، عام ١٩٦٧ ، مراجعة الخطة التي اعتمدوها عام ١٩٥٦ • فقد اصبح الاستيلاء على شرم الشيخ صعبا نظرا لموقعها وقلة طرق المواصلات وخاصة اذا احتلت القوات المعادية القسم الشمالي من شبه جزيرة سيناء • كان الوضع عام ١٩٥٦ يختلف كليا عما هو عليه الآن ، فقد وزع الجيش المصري ، آنذاك ، اكبر قسم من قواته حول القاهرة وقناة السويس ولم يحتفظ في ذلك المكان الا بالنذر اليسير من القوات • واخيرا عرف المصريون انه من الصعب حماية شرم الشيخ ففي صباح يوم ٧ حزيران ، اتضحت لهم انتصارات اسرائيل المتتالية في شمال شبه الجزيرة ، وقرروا اخلاء الذخيرة قبل ساعتين من وصول القوات المهاجمة المعادية •

لم يكن المفكرون العسكريون الاسرائيليون يجهلون انه لم يعد امامهم هذه المرة اي خيار سوى الانخراط في العراك ضد القوات المصرية المحشودة على طول خط الجبهة ومواجهتها في سيناء •• وعندئذ يفك الحصار عن مضائق تيران آليا •• ولم يكن التفكير في تحويل اسرائيل مسرحا للمعارك انما يجب مواجهة العدو خارج ارض الوطن ، وفي عقر

داره بالذات •

وزعت القيادة العليا المصرية نصف مصفحاتها على مختلف وحدات الجيش ولكن الاسرائيليين اصروا على ان تعمل وحداتهم متكاتفة مجتمعة•• وقال لنا الجنرال رابين في لقاء معه بعد انتهاء الحرب : « لقد استعملنا جيشنا المسلح على شكل قبضة يد • فكنا نغير بقوة وتتغلغل في صفوف العدو بسرعة ليس لنستولي على مواقعه بل لنشتته ونمنعه من العودة اليها • » •

كان من المفترض ان تتكون الخطة التي اعدها الجنرال رابين من ثلاث مراحل :

أ ـ خرق الخطوط المصرية في موقعين محصنين جدا •

ب ـ ارسال فرقة مصفحات باتجاه السلسلة الجبلية التي تحيط بقناة السويس • وتمنعهم من التراجع •

ج ـ واخيرا • تدمير الجيش المصري •

اعد الاسرائيليون ثلاث فرق لمواجهة الفرق المصرية السبع المحشودة في سيناء ، يقودها الجنرالات تال ، يوفي ، وشارون • وكانت مهمة مهاجمة النقطتين الموضحتين في خطة رابين موكولة الى الجنرالين تال وشارون • واوكل الى فرقة شارون ، المؤلفة من الاحتياطيين وحسب ، مهمة عبور الصحراء واحتلال مضيق ميلتا وغيره لتقطع على العدو خطوط الانسحاب• وهكذا اتيحت الفرصة امام الجنرالات كي يعدوا الخطط التي يرونها بكل ما سيتخذونه من اجراءات قبل يومين من بدء التنفيذ •• وعلى مناسبة لنجاح مهماتهم في الصحراء ولكن عليهم اعلام القيادة العليا للجيش هذا نعطي مثلا هو ان الجنرال شارون ابلغ قيادته قبل ايام بخطته الرامية الى احتلال ابو عجيلة ، احد الموقعين الهامين المنوي مهاجمتهما •

اوكل امر الضربة الاولى الى القوات الموضوعة تحت قيادة الجنرال تال ، وكانت تتكون من نخبة المدرعات المصفحة ويتراوح عددها ما بين ٢٥٠ و ٣٠٠ دبابة • وقع الاختيار على مدينة رفح غير البعيدة عن الساحل في جنوب منطقة غزة ، لتكون منطلقا للعملية • كان الهدف الاول العريش الواقع على مسافة خمسين كيلومترا الى غرب رفح ••• وتقع العريش على الخط الحديدي القنطرة ـ غزة ، ويعتبر هذا المكان من اهم المراكز التحصينية المصرية حيث يمكنهم ايصال الامدادات الى قواتهم في سيناء • كانت منطقة رفح ـ العريش تحت سيطرة فرقة المشاة السابعة •

كانت بلدة رفح محاطة بحقول من الالغام على شكل حدوة حصان تمتد الى اعماقها وتنطلق من نقطة تقع الى جنوب المدينة حتى التقائها ببحر من الرمال يصعب عبوره • وبالاضافة الى حقول الالغام هذه ، كانت هناك مراكز هامة ومحصنة تحميها بطاريات المدفعية المضادة للدبابات واسوار من الاسلاك الشائكة وتحتلها فرقتان من المشاة •• كما وضعت فرقة مدفعية من ورائها ومزودة بمائة مدفع من المدى الطويل وكان بامكان هذه القوات، اذا عملت متحدة ، ان تقذف بخمسة اطنان من القنابل في الدقيقة •

اعد الجنرال تال خطته بالاستناد الى اعتبارين هامين :

ـ الهرب من رصاص العدو •

ـ تجنب حقول الالغام •

ولذلك قرر تغيير نقطة الدفاع الاسرائيلية بالانتقال الى مدينة خان يونس المجاورة ، رغم انه كان على علم بمواجهة الفرقة ٢٠ الفلسطينية والفرقة ٧ المصرية •• ولكن هذه المناورة تسمح لمدافعه ان تكون خارج نطاق اهداف

المدفعية المصرية .. وبامكانه ، في حال ضياع خان يونس منه ، ان يفتح طريقا جديدا نحو رفح وتفادي حقول الالغام . وافترض تال ان تلك الحقول لن تزعجه عند اجتياحه خطوط الخصم الدفاعية مع العلم ان مائة دبابة مصرية موزعة في المنطقة ويجب ان تتحرك فيها ، وحسب خطته تهاجم كتيبة خان يونس من الشمال بينما تحيط كتيبة ثانية من الجنوب بحقول الالغام ومضمون الدفاع المصري . وعلى هذه القوات ان تسكت مدافع العدو وبعد ذلك تستولي على مواقعه المتقدمة .

هكذا وجب ان تكون اول معركة حربية .

قال لنا الجنرال تال :

« كان رجالي على علم بان مصير الحرب وقف على هذه المعركة وربما بالتالي مستقبل اسرائيل . لقد انقضت عشر سنوات منذ آخر حرب لنا مع مصر . وكان من المستحيل مدى التنبأ بالاثر الذي ستتركه على هذا الجيش الذي استعاد معنوياته ودرب على ايدي الروس . كنا نعلم ان الجيش المصري يملك معدات تفوق معداتنا كمية ونوعية . وبالنسبة لعدده، يعتبر الجيش المصري اغنى الجيوش في العالم من حيث التدريب وامتلاك الاسلحة الحديثة ، بعد الجيش الامريكي بالطبع .

وقبل الحرب ، نبه الجنرال تال جنوده قائلا : « لكي نربح الحرب ، علينا ان نربح هذه المعركة الاولى . لا يجب ان نفكر بالانسحاب وعلينا تحقيق جميع الاهداف مهما بلغ الثمن . يجب ان ننتصر او نموت . » .

صدرت الاوامر المنتظرة الى الجيش الاسرائيلي يوم الثلاثاء ٥ حزيران في تمام الساعة الثامنة والربع ، وما ان تلقت القيادة الجنوبية الامر حتى

عمدت القوات البرية الى الضرب مباشرة .. فمنذ نصف ساعة كانت الطائرات قد اغارت على المطارات المصرية ودمرتها وعلمنا كم بلغ عدد الطائرات المحطمة بعد تلك الغارة الخاطفة .. واستحالت احدث طائرات الميغ الى حطام قابع فوق مدارج المطارات .

وتحت ستار من النيران الكثيفة بلغت كتيبة الجنرال تال الشمالية المواقع الفلسطينية خارج خان يونس واشتبكت معها في معركة ضارية خسرت فيها اسرائيل ست دبابات .. ولكن المدرعات الاسرائيلية كانت تكنس كل شيء امامها فاستطاعت تدمير المواقع الفلسطينية ودخلت الى مدينة خان يونس بعد ان تكبدت خسائر فادحة في الارواح والعتاد .

وانطلاقا من خان يونس كان فيلقان يعملان في الشمال يحيطان برفح وينسلان بين مواقع العدو والبحر . تقدموا سريعا نحو الجنوب الغربي باتجاه الشيخ زويد ـ وكان هذا مركزا محصنا تحتله كتيبة مصرية تحاصر التقدم الاسرائيلي بينما عمدت بقية الفيلق الى فتح ممر جديد بين الخطوط المقامة للدفاع عن رفح ، واصبح بامكان المدرعات ان تمر بسلام بعيدة عن حقول الالغام .

وفي هذه الاثناء كانت الفرقة الثانية تذهب من الامام متخطية المواقع المصرية في جنوب رفح ومتفادية حقول الالغام .. وتقدمت كتيبة من المدرعات الاسرائيلية وقصفت الخطوط المصرية حتى تجبر العدو على فتح النيران وتتعرف الى مواقع بطاريته المضادة وتسكتها .. نجحت هذه الخطة وبلغت كثافة القصف اوجها .. واصيبت مدرعة اسرائيلية كانت تسير في المقدمة فدمرت واشتعلت فيها النيران واستخدم قائد الكتيبة عمود الدخان هذا كغطاء لقواته يمكنه من تخطي القوات المعادية بعد ان استبعد فكرة انغراس مدرعاته في الرمال في حال فشل المناورة فيقع في فخ طبيعي

لم يكن في الحسبان •

وهكذا استطاعت المدرعات الاسرائيلية ان تغير خطة المصريين وتأخذهم على حين غرة •• ولكن حادثا واحدا لم يسمح لهم بتحديد مكان كتيبة مصرية موزعة في اقصى جنوب مسرح المعارك ، فاندفعوا نحو الشمال حيث كانت تنتظرهم كتيبة معادية ثانية •

انفصلت كتيبة مصفحات من الفيلق العامل في الجنوب واندفعت فوق المدفعية المصرية التي قصفها الطيران منذ لحظات قصفا عاموديا •• واستطاعت هذه الكتيبة ان تدمر ٢٠ مدرعة ستالين كانت تحمي المدفعية المعادية واسكتتها •• وكان من المتفق عليه انه ما ان تنهي هذه الفرقة مهمتها حتى تعود وتلتحق بالفيلق الذي انفصلت عنه ثم تقوم بمهاجمة مؤخرة جيش العدو مرة ثانية • ولكن بدل ان تستدير الى الشرق استمرت صاعدة نحو الشمال ووقعت على مجموعة من المدرعات المصرية فدارت بينهما معركة ضارية واستطاعت الفرقة الاسرائيلية تدمير الدبابات بكاملها ••• ولم يكن هذا الحادث معدا في خطة المعركة من قبل •

حدثنا الجنرال تال ، فيما بعد ، فقال :

« عندما وجهت حديثي الى قائد اللواء ، تبين لي انه يدير رشيشه بيد ويمسك الميكرفون باليد الأخرى • » •

كان تال يحتفظ باحد الويته ، وهنا قرر ارسال كتيبة مدفعية الى ارض المعركة بعد ان اصدر اليها الاوامر بتتبع آثار كتيبة الجنوب عند مرورها منذ ساعتين فوق التلال الرملية • وامر ايضا ضابط اللواء الشمالي الآخذ بالتقدم سريعا نحو الغرب وعلى طول الساحل ، امره بان يعمل نصف دائرة ويعود الى الشرق مع احد الكتائب ليساعد المحاصرين • اما بالنسبة

لعناصر المدفعية المسلحة العائدة الى اللواء الشمالي التي دخلت مدينة رفح بالذات ، كانت الآن منهمكة في تنظيف المدينة •• فارسلهم الجنرال تال نحو الجنوب ، خلال حقول الالغام وطلب اليهم الالتحاق باللواء المحاصر •

وبالفعل ، فقد كان اول من احتك بالمحاصرين هو اللواء الذي دمر المدفعية المصرية وقد استطاع اللحق باكرا باللواء الثاني الموضوع تحت امرة قائد اللواء الجنوبي •• ووصل في الوقت المحدد : اذ بدأت الذخيرة تنقص في صفوف الجنود المحاصرين •• ومن الطبيعي ان تبدل هذه الامدادات الموقف الاسرائيلي وتمكنه من القضاء على اللواء المصري الذي خلف وراءه فوق ارض المعركة اكثر من الف قتيل ، وبعد قليل وصل الجنرال تال وانضم الى قائد اللواء الجنوبي مما زاد الموقف الاسرائيلي قوة على قوة •

علم الجنرال تال ان في اللواء خمسين جريحا موجودين على بعد خمسين كيلومترا الى الجنوب وينتظرون اخلاءهم ، عندئذ قرر ارسال طائرة هليوكوبتر لحملهم •• ولكن نيرانا حامية كانت بانتظار الطائرة عندما حاولت ان تهبط في المكان الذي ينتظر فيه الجرحى •• عندئذ فقط اتضح ان الكتيبة المصرية هذه كانت في مركز قوي وان افرادها لم يمسوا باذى ••

وفي الحال قرر قائد اللواء الاسرائيلي بالاتفاق مع قائد الكتيبة ، ان يجر المدرعات الباقية ويهاجم المواقع المعادية • هبط الظلام والمعركة لا زالت مستعرة •• وقد استمرت ساعتين بعد المغيب • كان المصريون يقاتلون بشجاعة ولكن عبثا يحاولون •• فقد احتلت مراكزهم وتكبدوا ١٥٠٠ قتيلا • وعندما عادت بقية المدرعات المصرية في المعركة لتنظم الى اللواء ، انهار الضابطان المسؤولان عنها •• وتكبد اللواء العامل في الجنوب سبعين قتيلا ومئات الجرحى •

وبعد الظهر تم الغاء قرار مهاجمة العريش ، ليلا ، جوا وبحرا ولم يفد حماس وتقدم الجنرال تال باتجاه هذه المدينة بشيء .. اذ تم ارسال جنود المظلات المرابطين في تلك المنطقة من اجل هذه المهمة ، تم ارسالهم الى القدس والجبهة الأردنية حيث كانت المعارك قد بدأت بعد ظهر ذلك اليوم ... وعند الساعة الرابعة اصدر الجنرال تال الاوامر الى جنود الاحتياط لديه بالتوجه نحو مطار العريش وفصله عن بقية اجزاء المدينة .

وفي نفس الوقت ، على الجبهة الجنوبية ، استولت قوات تال على موقع الشيخ زويد المصري وابتدأت مهاجمة مواقع جراده المحصنة جدا والواقعة على بعد ٨ كيلومترات شرق العريش .

وبينما كانت قوات الجنرال تال تخترق خطوط دفاع العدو في خان يونس ، كان الجنرال يوفى ، وعلى بعد ٢٥ كيلومترا الى الجنوب ، يتقدم فوق بحر من الرمال باتجاه بيرلهفان مع احد لوائيه المدرعين .. وكنا اشرنا الى ان المصريين اعتبروا هذا القسم من الصحراء لا يمكن عبوره باي شكل كان وتجدر الاشارة الى ان القيادة العليا الاسرائيلية كانت قد ارسلت في عام ١٩٥٦ سيارات جيب لكشف الموقع ولاقت الامرين للتخلص من هذه الرمال المتحركة وخلص القيمون على الامر انه يمكن عبورها بواسطة سيارات مجنزرة ...

كانت حقول الالغام المصرية تعيق الجنرال يوفي دائما وتمنعه من التقدم .. مما اضطره الى دفع بعض جنوده للقفز من العربات ، بين حين وآخر ، والبحث عن الالغام بواسطة جهاز خاص .. ومر كل شيء بسلام وهذا ما عبر لنا عنه الجنرال يوفي عندما سألناه فيما بعد .. فقال باسما : « يمكننا الآن ان نشير بالاصبع الى الاماكن التي تنبت فيها الالغام طبيعيا »

اجتاحت الكتيبة الاسرائيلية مسافة ٧٥ كيلومترا تقريبا بمدة تسع ساعات وبلغت منطقة بيرلحفان مساء يوم الاثنين حوالي الساعة السادسة .. ثم تمركزت على مفترق الطرق التي تجمع جبل لبني وابو عجيلة الى العريش وبطريقة تمنع احتمال وصول امدادات مصرية الى العريش الواقع حاليا تحت رحمة نيران قوات الجنرال تال .. وبعث المصريون بالامدادات المكونة من كتيبة مصفحة وعناصر مدفعية متحركة .. واصطدموا مع قوات يوفي في بير لحفان .. استمرت المعركة وقتا طويلا وخسر المصريون فيها ١٤ دبابة .. قيل لنا ان المعركة هذه امتدت حتى الصباح وبشكل متقطع ولكن المصريين بدأوا بالانسحاب عند الساعة العاشرة من صباح الثلاثاء بعد ان قصف الطيران الاسرائيلي مواقعهم بعنف .

وحوالي منتصف ليل الاثنين استطاعت مدرعات الجنرال تال اختراق الخطوط المصرية في جيراده واعلن قائد اللواء الشمالي ان احدى كتائبه دخلت العريش . وفي الوقت الذي كانت فيه تعد الخطط الدفاعية ، كان الجنرال تال يؤكد لرابين انه سيحتل المدينة باقل من عشرين ساعة ، ورد عليه القائد العام قائلا : « دعك من التبجح » . ولكن على الرغم من وجود الوحدات المصرية الموزعة في جميع المنطقة — المزودة باحدث الاسلحة — استطاعت المدرعات الاسرائيلية المصفحة ان تقصم ظهر الفرقة المصرية السابعة وتفتح طريقا لها الى العريش .

ومع ذلك لم تنته المعركة على الاطلاق .

كان المصريون يحتلون مواقع محصنة جدا في جيراده واعتبر هذا المركز هاما في جهاز الدفاع عن العيش . ومع ان المدرعات الاسرائيلية استطاعت ان تجتاح هذه الخطوط وتدخل العريش ، الا ان بقية اللواء الشمالي بدأت تراوح في مكانها دون ان تحرز اي تقدم على الاطلاق ،

وهنا قرر الجنرال تال تعديل الخطة المرسومة قبلا • كانت كتيبة الاحتياط الآن تعبر الى جنوب جيراده ، متجهة الى مطار العريش •• فصدرت اليها الاوامر بالاستعداد ، ما عدا فرقة واحدة ، لمساعدة اللواء الشمالي •• ولكن المدرعات غرزت في الرمال وهي في منتصف الطريق وبدت عاجزة عن اكمال الطريق • وبناء على هذا طلب الجنرال تال الى فرقة المدفعية التي كانت تبحث في رفح لاقامة خط اتصال للشاحنات المحملة بالمحروقات والذخيرة ، طلب اليها ان تتجه الى الغرب وتهاجم جيراده • وبعد معركة قاسية استطاعت الكتيبة الشمالية ان تحتل مواقع الدفاع المصرية وتكبدت خسائر فادحة في العتاد والارواح •• وهكذا عادت الفرق الاسرائيلية المحاصرة في جنوب جيراده الى المسير من جديد باتجاه مطار العريش فدمرت عشر مدرعات واجبرت عشرة اخرى على الانسحاب الى بير لحفان •

وفي الصباح كان الجنرال تال يملك فرقتين في العريش • وتحدث الينا بعد الحرب عن هذه المعارك ووصفها بالدامية واعترف بقوة ودقة مدفعية العدو المضادة للدبابات وكيف اقلقت قواته ومنعتها من التقدم :

« كان باستطاعتنا التعرف بسهولة الى مواقع مدرعات العدو بعد قذيفة او قذفتين • ولكن المدافع المضادة كانت في اماكن محصنة وتصب علينا وابلا من القذائف بغزارة لا مثيل لها • كان يستحيل علينا تجديد مواقعها ولم نسكت منها الا القليل القليل •• فكنا نذهب باتجاه الضوء الذي يعقب اطلاق القذيفة ونسحقهم بمدرعاتنا • » •

قاتل الاسرائيليون في العريش دون ان ينظروا الى الخسائر •• ولكن النصر بات مؤكدا الآن وراح الجنرال تال يبحث عن طريقة تضمن حياة جنوده •• ولهذا امر قائد الكتيبة العاملة في الجنوب ان يشن هجوما ساحقا ضد المواقع المصرية في بير لحفان ، في جنوب شرق العريش ثم يبعث

بفرقة من المدرعات تتلمس امكانية العدو • استطاعت دبابات سانتوريون الاسرائيلية والتي ترمي على مسافة طويلة ، استطاعت ان تدمر بعض وحدات المدفعية المصرية المضادة وهي في مخابئها المصفحة وعددا من الدبابات طراز ت ــ ٥٤ ، ويعود ذلك الى تفوق المدافع الانكليزية ــ ١٠٥ والى مهارة الرماة • لاحظ تال جدية الموقف فطلب الى كتيبة ثانية ان تتوجه حالا الى ارض المعركة مرورا بالتلال الرملية الواقعة الى الشرق • ولكن عددا كبيرا من المدرعات الاسرائيلية انغرز في الرمال طيلة فترة ووجد نفسه معرضا للقصف من جميع الجهات ، وبقدر ما كانت هذه الفرقة الثانية تتقدم بقدر ما كان المصريون يتراجعون •• عندئذ كان باستطاعة الاسرائيليين ان يتقدموا ويدمروا اكثر من ثلاثين دبابة ومدفع مضاد للطائرات • لم يرد تال ان يرى مرة ثانية ما حدث في جيراده •• حيث اخترقت قواته الخطوط المصرية ولكن هؤلاء استطاعوا ان يتجمعوا ويوقفوا تقدم الامدادات الاسرائيلية •• عندئذ اعطى الاوامر الى كتيبة من لوائه الاحتياطي ان تساند الوحدات المتقدمة • وعند ظهر الثلاثاء استطاعت هذه القوات ان تجتاح خطوط الدفاع المعادية في بير لحفان ، آخر المواقع المصرية المحصنة في ذلك القطاع •

ومباشرة بعد الاختراق الذي حققته فرقة الجنرال تال في خان يونس ورفح ، دخلت كتيبة اسرائيلية من الجنوب الى قطاع غزة وتقدمت الى الشمال وقضت على جميع المواقع الفلسطينية وسقطت المدينة نفسها في تمام الواحدة الا ربعا من بعد ظهر ذلك اليوم •

وفي هذه الاثناء ، وبينما كانت الكتائب الاسرائيلية تحارب في شوارع العريش وتدكها بيتا بيتا ، كان الجنرال تال يبعث بمدرعاته ومدفعيته على الشاطيء نحو الغرب باتجاه روماني وقناة السويس •• اما بالنسبة لتال

نفسه ، فقد ترك العريش الى الجنوب مع ما تبقى من قواته .. ليلتقي مع الجنرال يوفي .. واخذ القائدان يناقشان الخطط المعدة لمرحلة الدفاع القادمة وينتظران صدور التعليمات اليهم بالراديو من الجنرال غافيش قائد الجبهة الجنوبية .

واستنادا الى خطة الهجوم ، يجب ان تنطلق فرقة شارون من مواقعها الدفاعية التي تحتلها حول تيتزانا وذلك لتحاصر القوات المصرية في ابو عجيله ويصبح كل شيء جاهزا للقيام بهجوم ليلي .

وابو عجيلة ، بالفعل ، هي النقطة الثانية التي وقع عليها الاختيار للقيام باختراق لخطوط العدو .. وهي عبارة عن موقع محصن جدا في التلال ويقع على بعد حوالي عشرين كيلومترا من الحدود . كانت امكانيته الدفاعية تتكون من ثلاثة خطوط تمتد متوازية على مسافة طولها خمس كيلومترات ولا تتعدى المسافة ما بين الخط الاول والثاني الثلاثماية مترا وما بين الخط الثاني والثالث الستماية مترا .

تقع ابو عجيلة عند مفترق الطرق المؤيدة الى كل من العريش وجبل لبنى والقسيمة ونعلق الطريق التي تسمح للاسرائيليين بالوصول الى قلب سيناء بسهولة . ولم يكن من الممكن ان يسيروا في طريق كهذه دون ان يستولوا على موقع محصن وتسهل احتما لقطع التموين بالمحروقات عن المدرعات الاسرائيلية. ولو ان ابو عجيله بقيت في يد المصريين لفشل الجنرال يوفي بالتقدم واحراز النصر .

اوكل امر الاستيلاء على ابو عجيلة الى المقدم أريال شارون الذي استولى على مضيق ميلتا عام ١٩٥٦ بمساعدة المظليين .. ومنذ ذلك الحين كلف شارون بتنظيم الاستعداد الحربي .

كان معظم جهاز الدفاع عن المدينة موكلا الى الروس ، وحدثنا شارون عن ذلك فقال : « كان هذا يلائمنا تماما لاننا كنا نود تفادي الاشتباكات المجابهة . » . وضع الجنرال شارون خطته الدفاعية بيومين او ثلاثة قبل البدء بتحقيقها . كان يملك معلومات دقيقة عن موقع ابو عجيلة وعن وضع القوات المصرية فيها .

قال لنا فيما بعد : « رسمت خريطة المنطقة فوق الرمل وجعلت ضباطي يتنزهون فيها حتى يتضح لكل منهم حقيقة ما يجب عليه ان يقوم به ، وكان اهم شيء في الموضوع اننا سنهاجم ليلا . » .

قرر شارون هكذا « لان المصريين لا يحبون القتال ليلا ولا المجابهة وجها الى وجهه وكنا نحن مختصين بالعمليتين .. » .

كانت خطة شارون تتألف من خمس نقاط :

أ ـ اقامة مدفعية في مكان متقدم حيث تتمكن القوات الاسرائيلية امطار المصريين بوابل من الرصاص .

ب ـ فصل المصريين عن مؤخراتهم ومنع وصول الامدادات اليهم ثم الانقضاض على مواقعهم .

ج ـ انزال عدد من المظليين بالهليوكبتر في شمال المدينة ومن ثم مهاجمة القوات المصرية واسكات مدفعيتهم .

د ـ تحويل هجوم المشاة نحو الشمال ، اي شمال الخطوط المصرية حتى يتم تنظيف الثكنات منها بينما ينهمك جنود سلاح الهندسة في اعداد طريق آمن بين حقول الالغام .

هـ ـ ارسال المصفحات لخرق خطوط دفاع العدو .

عبر لواء شارون المدرع الجبهة صباح يوم الاثنين وعند الساعة التاسعة .. كان يتجه نحو ابي عقيلة واستولى قبل الظهر على مقدمة الفرقة المصرية الثانية ، مدمرة عددا كبيرا من المدرعات المعادية اثناء المعركة . كانت السارية تتكون ، بالاضافة الى المدرعات ، من ست كتائب مدفعية .. وتقدمت رغم سيل كالمطر من القنابل ، وعند الساعة الثالثة بعد الظهر كانت على ثمانية كيلومترات تقريبا من ابو عجيلة . ومن هذا المكان استطاعت المدفعية الاسرائيلية ان تصلي المواقع المصرية نارا حامية . واستمر هذا القصف المحكم على المدافع المصرية الى ان استطاع اسكاتها جميعها . وتبع سارية شارون سارية اخرى من المشاة نقلت بالشاحنات المدنية من الجبهة. قال لنا الجنرال شالون : « طلينا عرباتنا بالوحول ليس للتمويه بل لاعطائها الصبغة الحربية . » لم تنجح العملية تماما كما كان متوقعا لها .. واكد لنا هذا ضابط في الجيش الجوي الاسرائيلي كان قد كلف بالمراقبة الأرضية اثناء الغارات الجوية على سيناء ، فقال : « لم نخاطر بارتكاب خطأ بالتعرف الى سياراتنا العسكرية من الجو . فكلما رأينا عربة لنقل الثلج او الطحين ، كنا نتأكد انها لنا . » .

بعد مسير ست او سبع كيلومترات كانت العربات تنغرس في الرمال .. مما يضطر الركاب الى الترجل والسير على الاقدام مسافة خمسة عشر كيلومترا في الصحراء قبل حلول الظلام .. فيبيتون في العراء مستفدين من الظلمة في امكنة آمنة ومنها ينطلقون في الصباح وينقضون على المواقع المصرية .

وفي هذا الوقت كانت فرقة استكشاف تساندها كتيبة من المدرعات والمخربين المدافع الثقيلة ، كانت تتقدم اكثر الى الجنوب لتتخطى المواقع المصرية وتسد الطريق المؤدي اليها .. وحوالي الساعة الخامسة عشرة

اصطدمت هذه القوات بوحدة مصرية كانت موجودة على الطريق الى شمال الشمال الغربي من ابو عجيلة . ودارت هناك معركة ضارية تراجعت فيها القوات الاسرائيلية واحترق اكبر عدد من مدرعاتها . طلب الضباط الاسرائيليون بالراديو مساعدة جوية ولكن الطائرات لم تهتد الى مواقعهم نظرا لعاصفة رملية قوية حجبت الرؤيا وجعلتها مستحيلة .. وعند الساعة الثالثة والنصف عاد الاسرائيليون الى الهجوم من جديد واحتلوا الموقع المصري .. ثم اتجهوا نحو طريق العريش ابو عجيلة حيث كان عليهم ان يواجهوا اكثر من ٢٠ مدرعة ت ـ ٥٤ ويستولوا على الموقع بطريقة تمنع المرور منه .

هبط الليل وساروا في الطريق الجنوبي الشرقي واقاموا عند مفترق الطريق الذي يقود الى جبل لبني، حيث اقاموا حاجزا جديدا. توقفوا بانتظار المحروقات والذخيرة التي نادرا ما تأخرت والامر بالنزول في الطريق الى ابو عجيلة ليفاجئوا العدو من الوراء . وفي نفس الوقت بعث شارون بفرقة استكشاف تتكون من مدرعات وسيارات جيب ورشيشات باتجاه الجنوب وطريق قسيمة ابو عجيله وهناك تمركزت الفرقة مع بزوغ الفجر ، وهكذا قطع شارون جميع الطرق التي يتزود منها المحاصرون انطلاقا من قسيمة والعريش او جبل لبني .. وفي نفس الوقت ايضا حال دون المدافعين عن ابو عجيلة وقطع عليهم كل احتمال بالانسحاب .. وبهذه المناورات البارعة تم حصار المدينة .

وعند الفجر جاءت طائرتا هليوكبتر وحطتا على بعد كيلومترين من ابو عجيلة . كان هدفهما يقوم على تمشيط المنطقة واعداد مركز خاص لهبوط مجموعة كبرى من هذه الطائرات . تم هذا التدبير عند حلول الظلام ونزلت فرقة بكاملها من المظليين في المنطقة .

افادنا شارون عن هذه العملية فيما بعد فقال :

« تسمح طائرات الهليوكبتر باحضار الكومنوس سيرا على الأقدام بدل انزالهم بالمظلات .. فالطريقة الاولى اسهل وادق من الثانية .. وهذا يمكنهم من التوزع في الامكنة المناسبة لبدء عملياتهم .. » .

وفي تمام الساعة العاشرة الا ربعا كان الاسرائيليون على اتم الاستعداد للهجوم . كان جهاز اقفال الحصار على المصريين تاما الآن وكانت كتيبة المدرعات المصفحة المرابطة في ابو عجيلة تستعد لمداهمة المحاصرين من الخلف . وتسلل المشاة الاسرائيليون مسافة مئات الامتار واصبحوا قريبين جدا من الواقع المصرية بل باتوا واياهم وجها لوجه .

اما بالنسبة للجنرال شارون فقد اقام فوق هضبة تبعد سبعماية متر عن المواقع المصرية المواجهة . وقال يصف الموقف : « كان النور يضيء كل شيء وكانا في وضح النهار فتتساقط القنابل المحرقة والمتفجرة تقع في جميع الامكنة وتضيء القطاع بكامله . » .

وعند الساعة العاشرة طلبت القيادة العامة للجبهة الجنوبية الى الجنرال شارون اذا كان يفضل ارجاء الهجوم الى غد وربما استفاد من مساعدة جوية كبيرة .. وحدث هجوم جوي واحد طيلة يوم الاثنين ضد موقع ابو عجيلة المحصن .. واصيبت طائرة اسرائيلية واحدة بنيران المدفعية المصرية ولكن الطيار قفز بالمظلة ووقع اسيرا .

وبعد الحرب ، شرح لنا الجنرال شارون موقفه فقال :

« كنت اخاف كثيرا على حياة رجالي .. وكنت مقتنعا انه على الرغم من مساعدة الطيران لنا نستطيع اتخاذ مركز محصن . رأيت

جنودنا يعبرون التلال الرملية بشكل مرتب بعد الظهر . كان الأمل مشرقا على وجوههم والثقة معتمرة في نفوسهم وانهم على استعداد تام للمعركة . لم يكن بالامكان ان ادعهم ينتظرون .. وكنت واثقا من انهم سيحرزون النصر . » .

اعطى شارون الأمر بالهجوم عند الساعة الحادية عشرة الا ربعا . وفي نفس اللحظة كانت كتائب المدفعية الست والمتخفية الآن وراء التلال في شرق ابو عجيلة ، كانت تفتح النار على المواقع المصرية . وتترك الكلمة لشارون حيث يقول :

« كانت النيران مستعرة جدا مدة نصف ساعة ولم اشاهد بضراوتها طيلة حياتي .. ثم اصدرت الأمر الى المظليين بالهجوم والى كتيبة المدرعات، المرابطة في شمال غرب طريق العريش ، بان تتحرك وتهاجم العدو من الوراء .. ثم امرت اللواء المصفح ان يقترب من الخطوط المصرية ويفتح النار عليها ولكن كثافة الغبار والعواصف الرملية حالت دون ذلك . وعند الساعة الحادية عشرة والربع توقفت مدفعيتنا عن القصف فأخترقت مدرعتنا الحصار وبدأت المشاة هجوما مركزا . كان امام كل فرقة خندقا (متراسا) لتنظفه .. وكنت قد تنبهت الى الأمر وسعيت الى الحصول على مصابيح كهربائية . ولم يكن هناك بد من اللجوء الى صديقي المسؤول عن مستودع الذخيرة .. فأمن لي خمسين مصباحا ذي لمبة حمراء وخمسين ذي لمبة زرقاء وخمسين أخرى ذي لمبة خضراء . وتسلمت اللمبات بعد ساعتين او ثلاث . واعطيت لكل فريق لونا يختلف عن اللون الذي في حوزة الفريق الآخر . وهكذا تستطيع مدرعاتنا ان تتعرف الى مراكز جنودنا وتطلق النار من فوق رؤوسهم دون ان تصيبهم باذى . ولانارة القطاع بكامله ، استخدمنا الأنوار الكاشفة .

بدأ المصريون بالانسحاب حوالي الساعة الثالثة صباحا .. فقد اتم المظليون مهمتهم وخسروا خمسة قتلى و ١٥ جريحا من اصل مائة وخمسين رجلا . طلبت اليهم الا يتركوا الجرحى ويحملوهم معهم كما نفعل دائما فربما عاد المصريون الى الهجوم مجددا وقضوا على جرحانا .

صدرت الاوامر الى كل كتيبة ان تنظف كيلومترا واحدا من الخنادق ، ولكن جنودنا كانوا ينظفون اكثر من ثلاثة كيلومترات .. عندئذ بعثت بسلاح الهندسة ليشرفوا على حقول الالغام . كان يجب ان تدخل مدرعاتنا الشبكة المحصنة قبل الفجر والا تمكنت منها المدفعية المصرية وابادتها .. نسف المصريون الطريق واحدثوا فيها حفرة كبيرة كانت لتمنع مدرعاتنا من الخروج من المنطقة . كان عليهم ان يبتعدوا عن الطريق ولكن لغما انفجر تحت احدها واشتعلت النيران فيها .

كانت الساعة تشير الى الثالثة صباحا عندما علمت القيادة الجنوبية بالراديو ان مركز ابو عجيلة اصبح في ايدينا ، مع العلم ان معركة المصفحات في داخل المنطقة المحصنة التي تقيس ما بين ٦ و ١٠ كيلومتر كانت ستبدأ مع الفجر ومن الساعة الرابعة حتى السادسة، اي في الوقت الذي انتهت المعركة عنده . وفي تلك اللحظة امرت القوات التي تقفل طريق قسيمة ابو عجيلة وان تنزل الى القسيمة . كان احتلال ابو عجية اصعب عملية حربية قام بها جيشنا ـ وانتصر جنودنا لانهم كانوا يؤمنون بانفسهم ويعلمون انهم قادرون على خوض المعركة حتى نهايتها .

كان يجب على الكتيبة الثانية من لواء الجنرال يوفي ان تمر من هناك .. ولهذا بدأنا نمهد الطريق ونزيل العربات المكتظة : اي السيارات وشاحنات الحليب التي كنا قد احضرناها من المدينة ... واكتفينا بوضعها فوق الرمال لصعوبة توجيهها الى المكان الذي جاءت منه .. واستطاع

جنود يوفي ان يمروا متجهين الى جبل لبني ... وفي ابو عجيلة ودعت فرق المظلات والمشاة ثم انطلقت مع فرقتي فقط باتجاه نحل حتى تنضم الى بقية القوات التي كانت قد وضعت تحت امرتي . » .

وهكذا سقطت كل من رفحو ابو عجيلة وتركت القوات الاسرائيلية وراءها قسما كبيرا من الجيش المصري .. كما فتحت لها طريقين الى شبه الجزيرة . بلغت كتيبة الجنرال يوفي جبل لبني يوم الاربعاء عند الساعة السادسة صباحا .. وكان كل شيء الآن جاهزا لمحاصرة وتدمير الجيش المصري في سيناء .

الفصل السابع

القدس وشرق الاردن

بينما كانت المعركة مستعرة في صحراء سيناء ، حدثت امور اهم منها في القدس •• فقد استبدت الغيرة في قلب الجنرال ماركيس قائد المنطقة الوسطى وظن ان زملاءه العاملين في المنطقة الجنوبية سينالون حصة الاسد من المعارك ويخرج هو منها صفر اليدين •• ولا ننس ما قاله له مرشد الجيوش العام شلوموكورين : « ان رجالك يثيرون المشاكل •• ان ما يحدث في سيناء يعتبر لا شيء بالنسبة لذلك • » •

وصباح يوم الاثنين كانت القوات الاسرائيلية موزعة على جبهة الوسط مقابل الاردن وعلى الجبهة الشمالية مقابل سوريا ، كان هدف اسرائيل السهر ليس الا على هذه القطاعات ، لان كل الجيش كان منهمكا في سيناء ••• وحتى يوم ٣٠ أيار يوم تم الصلح بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين ، كان الاسرائيليون مقتنعين بان الاردن لن يتدخل في الحرب ما بين اسرائيل ومصر ، فقد وقفت الاردن على الحياد في حرب عام ١٩٥٦ وانها ستنتهج نفس السياسة الآن •

وما ان اخذت السلطات الاسرائيلية علما بمعاهدة الدفاع المشترك بين حسين وعبد الناصر يوم الثلاثاء الذي سبق ثلاثاء بدء الحرب العربية الاسرائيلية ، حتى تلقى الجنرال ناركيس المسؤول عن القطاع الذي يضم القدس وتل ابيب ، تلقى امرا يمتنع بموجبه عن كل ما يؤدي الى التحدي • اما في حال نشوب الحرب فعليه ان يهتم قبل كل شيء بجبل سكوبوس

الواقع في الاراضي الاردنية والمنسلخ عن قطاع القدس الاسرائيلي وحيث تقع الجامعة العبرية ••• ويعود تاريخ هذه الأرض الى اتفاق هدنة عام ١٩٤٨ التي حددت خطوط المحاذاة بين اسرائيل والعرب • وبموجب هذه الاتفاقات اصبح جبل سكوبوس يؤلف منطقة منزوعة السلاح يحرسه مائة وعشرين جنديا اسرائيليا يتم تبديلهم كل خمسة عشر يوما وسمح للفيلق الاسرائيلي ان يمر باتجاهين وذلك تحت مراقبة الامم المتحدة •• وكانت كمية الاسلحة والذخيرة الموضوعة في المنطقة محدودة وتخضع لمراقبة شديدة •• ورغم ذلك كان من الطبيعي ان يدخل الاسرائيليون كميات هائلة من الاسلحة المتنوعة الى الجبل وانشأوا فيه مستودعا ضخما • وقبل بدء المعارك قبلت اسرائيل نزولا عند طلب الاردن ، ان ترجيء مرور الفيلق كعادته •• وظن بعضهم ان القيادة الأردنية تخوفت من ان تفقد السيطرة على مشاعر الجماهير عند مرور الفيلق الاسرائيلي وخاصة بعد ان بلغ الحماس ذروته عندما فرضت مصر الحصار على خليج العقبة • وتدل بادرة اسرائيل بتأجيل مرور فيلقها على شيء واحد الا وهو انها كانت تستخدم جميع الوسائل لتجنب الصدام مع القوات الأردنية المجاورة • اما النقطة الثانية الهامة التي كانت تقلق الجنرال ناركيس هي مصير قصر حكومة فلسطين السابق في المنطقة الدولية والذي تشرف عيه الامم المتحدة• كان هذا القصر يقع في اقصى جنوب القدس وتتخذه بعثة الامم المتحدة كمقر لها •• كان ناركيس يسهر دائما على الا تستولي القوات الأردنية على هذا البناء •

بدت القوات الاردنية رغم كثرة عددها قادرة فقط على القيام بعمليات حربية محلية ليس الا • ورغم ذلك كان على الجنرال ناركيس ان يعد نفسه لمجابهة خطرين :في الدرجة الاولى محاصرة القوات الاسرائيلية المرابطة في القدس والمفصولة ، منذ ذلك الحين ، عن بقية البلاد • وكان الخطر الثاني يكمن في محاولة اردنية ترمي الى شطر اسرائيل الى قسمين بالاتجاه نحو

الغرب والسهل وحتى مشارف ناتانيا .. ويعرف هذا المكان بانه ضيق جدا حيث يبلغ عرضه ١٥ كيلومترا فقط .

ولو ان عملية من هذا النوع نجحت لتعرضت اسرائيل لكارثة عسكرية ومالية وسياسية ووجدت ان كفاءاتها الدفاعية قد تحطمت نظرا لمحاور المواصلات الكبرى في الشمال والجنوب والتي كانت ستقطع حتما : كان القسم الكبير من الجيش في المعركة في جنوب البلاد ويصعب على الشمال ان يقاوم الصدام المسلح مع الجيشين الاردني والسوري .

كانت كتيبتان اردنيتان ترابطان عند نهر الاردن قبل اسبوعين من بدء الحرب : فرقة المشاة السابعة والعشرين يدعمها لواء من الكتيبة المصفحة الثالثة في الجنوب ما بين جرش والقدس والكتيبة الستين المصفحة يدعمها اكثر من ستين دبابة باتون في الشمال . كانت هذه القوات تشكل تهديدا خطيرا لجبل سكوبوس و مبنى الامم المتحدة .

وجاء دخول فرقة مشاة عراقية الى الاردن في الرابع والعشرين من شهر أيار يساندها اكثر من مائةو خمسين مدرعة ، جاء يزيد الموقف خطورة بالنسبة للاسرائيليين . كان بامكان جيش بهذا الحجم ان يضرب اسرائيل بعنف في كثير من المواقع التي لم تكن قد حضت بعد واعدت لصد اي هجوم .

وفي ٣١ أيار قام دايان بزيارة الى الجنرال ناركيس بعد ان احصل على اذن من اشكول ــ لم يكن دايان بعد من اعضاء الحكومة ــ ونصحه، كما رأينا ، ان يتكل على قواته . وكان ناركيس قد اعد خطته للهجوم قبل يومين او ثلاثة . كانت الخطة هذه تقتضي بوصل جبل سكوبوس بالقدس وتحتل المدرعات المصفحات المرتفعات ما بين القدس ورام الله ثم تتمركز

في مواقع تشرف منها على كل المنطقة .

ولم يسقط ناركيس من حسابه مدينة القدس القديمة التي تشرف عليها الاردن ، اذ كان يفكر بارسال مشاته للاستيلاء على سور ــ باهير وتقطع طريق القدس ــ بيت لحم ولكن يلزمه من اجل ذلك تأمين المؤخرة فطلب كتيبة من المظليين وان عليها ان تستولي على مدرسة الشرطة الزاوية الاردنية المحصنة والواقعة ما بين قطاع القدس الاسرائيلي وجبل سكوبوس .

اقام ناركيس مركزا لقيادته في كاستل على حافة الطريق من تل ابيب الى القدس والتي تقع على بعد خمس كيلومترات الى غرب هذه الاخيرة . من كاستل اشرف الضابطان على المنطقة وتحدثا عن الاستراتيجية بارتياح .. ثم طلب دايان الى محدثه ان يأتيه ببعض القرارات التي تتعلق بتحرك القوات على مستوى بسيط حتى لا يفسحوا المجال امام الاردنيين ويظنوا ان عملهم هذا ما هو الا نوع من التحدي .

علم الاسرائيليون قبل الحرب بأيام فقط ان فرقة عراقية عبرت جبهة الاردن الشرقية وتستعد لعبور النهر ليلة الاحد وتضع نفسها تحت قيادة الجنرال المصري عبد المنعم رياض المقيم في عمان .. وعلموا ايضا ان فرقة من الكومندوس المصريين وصلوا الى تلك المدينة مساء السبت ٣ حزيران.

كان الجنرال ناركيس يعلم ان انتظار وصول الامدادات امر غير وارد ولذلك طلب الى جميع سكان القطاع ان يعملوا بجد ونشاط .. فبدأ المدنيون والقرويون وسكان الكيبوتز بحفر عشرات الكيلومترات من الخنادق .. وراح النساء وطلاب المدارس يملؤن اكياس الرمل وزرعت الالغام القليلة في جميع الامكنة ..

قال لنا ناركيس : « عملنا كل ما بوسعنا لنصمد امام الهجوم » •

وصباح الخامس من حزيران ، وبعد ساعات من اول هجوم خاطف ضد مصر ، وجه ليفي اشكول رسالة الى الملك حسين بواسطة رئيس مراقبي الأمم المتحدة الجنرال اود بول ، وقال فيها :

« نحن لا نفكر باي عمل ضد الاردن مهما كان نوعه • ولكن اذا اقدمتم على اي عمل فسنرد بعنف وتتحملون شخصيا مسؤولية ما ينتج عن ذلك • » •

واكد الجنرال اودبول ان الملك حسين تسلم الرسالة بالفعل •

ومع ذلك بدأت الاردن تصب نيرانها ، حوالي الساعة الثامنة والنصف، فوق القطاع الاسرائيلي القريب من خط الهدنة • يقول البعض ان الملك حسين فتح النار لجهله بان الطيران المصري قد تحطم او لانه لم يكن سيد قواته المسلحة التي راحت تتلقى الاوامر من القيادة المصرية العامة في عمان • وعند الساعة الحادية عشرة والنصف امتد القتال على طول الجبهة الاردنية وبدأت القذائف تنهمر فوق تل ابيب بينما كانت مدافع اخرى في الشمال تقصف مشارف قاعدة رامات دافيد الجوية الكبرى •

فوجئت القيادة الاسرائيلية العامة بما حدث ولكنها لم تتخوف •• واعتبر ناركيس ان هذه فرصة مؤاتية للرد وربما لم تسنح له ثانية • وعند التاسعة اتصل ناركيس بمختار القدس ، تدي كولك • « انها الحرب •• ونسيطر كليا على الوضع •• وهناك احتمالات كبرى ان تصبح مختار القدس الموحدة » • وقبل هذا كان ناركيس قد اعلن حالة الطوارىء وامر صفارات الانذار بالعمل في حال حدوث قصف جوي •

وننقل هنا سير المعارك في منطقة القدس يوما يوما كما سجلها معاون الجنرال ناركيس اثناء الحرب واكملها الكولونيل موردخاي غـور (١) والكولونيل اوري بن آري ، قائد الجيش المصفح على الجبهة الوسطى • وسنشير الى الاولى بموتا — Motta - ونشير الى الثاني بـ « يوري» — Uri —

الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧

الساعة التاسعة و ١١ دقيقة • الجنود الاردنيون على استعداد • راديو عمان يعلن ان الاردن قد هوجمت •

الساعة التاسعة و ٢٧ دقيقة : الحسين يعلن من الراديو : « لقـد ازفت ساعة الانتقام •

الساعة ٩ر٣٠ دقيقة :

« تكلمت من توي الى قائد منطقة القدس وطلبت اليه اذا كان لديه ما يكفي من المدرعات • كانت هذه في المؤخرة نظرا للاتفاقات التي حتمتها خطوط الهدنة والى توزع المصفحات داخل القدس • طلبت اليه ان يحتل منحدر عبد العزيز (على بعد ١ر٥ كلم من كاستل) وربما قصر الحكومة• »

الساعة ٩ر٣٣ :

محادثة هاتفية مع رابين : « قواتي مستعدة لاحتلال اللترون ومنحدر عبد العزيز وقصر الحكومة • » •

الساعة ٩ر٥٥

امرت القاطرات التي تسير على طريق طوله ١٥ كلم وعلى بعد ٢٠٠ مترا

(١) كان موردخاي قائد المظليين في القدس •

من الجبهة ان تكمل سيرها ولكن فارغة •

الساعة ٣٠ر١٠

راديو القاهرة يعلن عن احتلال قصر الحكومة •

الساعة ٣٠ر١١

المعارك على طول الجبهة • طلبت الى رابين ــ القائد العــام ــ ان يسمح لي باحتلال المواقع التي سبق لي ان ذكرتها ولكنه رفض • المدافع تقصف جبل سكوبوس وكذلك قاعدة رامات دافيد الجوية •

الساعة ٥٠ر١١

ناركيس يتصل مجددا برابين ويطلب اليه نفس الطلب • كان الجواب دائما سلبيا •

الساعة ١٢

بعثة الامم المتحدة تقترح وقف اطلاق النار • يقبل ناركيس •

الساعة ١٠ر١٢

يتصل ناركيس هاتفيا بباريليف (مساعد رابين) ويقول له : « يجب ان تتصرف • ان الاردنيين ، في رأيي ، يودون فقط ان يبرهنوا لنا انهم قاموا بشيء وذلك بعد ان يتأكدوا من الهدوء • ولكني أصر على ان ادخل واحتل المواقع التي هي موضوع الحديث • ويجيب باريليف : لا •

الساعة ٢٠ر١٢

بدأ الاردنيون القصف بالطائرات والمدافــع • هاجمت طائــرات « الهانتر » قرية قرب ناتانيا • تساقط القنابل مستمر •

الساعة ٣٠ر١٢

اتصلت بقائد منطقة القدس لاقول له : « اذا هوجم جبل سكوبوس، يستطيع يوري ان يدخل من الشمال • » وحذفت السير بواسطة الخط الحديدي •

الساعة ٤٠ر١٢

طائرات الهانتر الاردنية تقصف ضواحي تل ابيب • (خسائر طفيفة ولا قتلى او جرحى) •

الساعة ٤٥ر١٢

راديو الاردن يعلن احتلال جبل سكوبوس •

الساعة ٥٠ر١٢

تلقيت اذنا باعطاء الامر الى كتيبة الكولونيل يوري المصفحة الموجودة بالقرب من الرملة ان تتمركز في اماكن قريبة من كاستل •

الساعة ٠٠ر١٣

« نبهت يوري الى ان يكون على استعداد للتحرك • عليه ان يسلك ثلاث طرق انطلاقا من الرملة ليصل الى الاماكن المتوقعة بالقرب من القدس » • (كانت جميع العربات المعدة لنقل المدرعات موجودة في النقب حيث وزع اكبر قسم من الدبابات الاسرائيلية • وهي التي تستطيع ان تؤمن نقل المدرعات بسرعة من الجبهة الى الحدود السورية والاردنية) •

يوري يسأل اذا كان يستطيع بدء الهجوم ما ان يبلغ مواقعه الجديدة • لم يكن يود التوقف عند الحدود والانتظار والا اجبر على اعادة تشكيل فرقته • يريد ان يتوغل • ينبه ناركيس دايان ويسمح هذا الاخير بالهجوم

اذا كان هناك ما يهدد جبل سكوبوس • يقترح دايان خطة سير أخرى • الفرقة المصفحة تمر شمال القدس • ويجيب ناركيس بانه يفضل الاحتفاظ بخطته الاولى وهكذا يصل يوري بسرعة الى طريق رام‌الله ــ القدس ، حتى ولو كانت هذه اطول نوعا ما •

بدأت فرقة يوري المصفحة تتحرك باتجاه القدس •

ناركيس يطلب الى قائد المشاة ان يحتل مركزه ويكون على استعداد اذا ما تعرضت مدرسة الشرطة لقصف المدافع •

الساعة ١٤ر٠٠

القيادة العامة تعلم ناركيس انه سيتسلم لواءا من المظليين للمعرك في منطقة القدس •

الساعة ١٤ر٠٥

وصول يوري الى مقر قيادة ناركيس العامة • قال لنا ناركيس فيما بعد : « كان هذا انتقاما لعام ١٩٤٨ • لقد قاتلنا معـا في المنطقة ، نحـن الاثنان، واندحرناه (هزم رابين في القدس عام١٩٤٨ •• وهي التي ولد فيها الضباط الكبار الثلاث) •

ناركيس يطلب الى يوري التوجه بسرعة الى جبل سكوبوس •

الساعة ١٤ر١٠

قيادة منطقة القدس تعلن ان قصر الحكومة (مقر بعثة الامم المتحدة) قد احتلته القوات الاردنية • « دافعنا منذ الصباح ولكن الوضع تغير بعد الظهر كليا • » •

الجنرال ناركيس يطلب السماح له بالهجوم من جديد •

الساعة ١٤ر١٥

فريق ثان من المظليين بقيادة موتا يوضع تحت اوامر الجنرال ناركيس •• ويقرر هذا ان يبعث به لمهاجمة كلية الشرطة في سور ــ باهير •

موتـا ــ

وجدنا انفسنا صباح الاثنين بالقرب من قاعدة جوية ننتظر الاوامر لنقوم بعملية ضد العريش • ولكن تلقينا امرا بعد الظهر بارسال كتيبة الى القدس ثم طلب الينا ان نرسل لواء بكامله لتردي الوضع هناك ، كان اختراق الحدود والحواجز هدفنا الاول •• ويعتبر هذا النـوع مـن العمليات صعبا جدا عند جميع جيوش العالم • كان علينا ان نقيم اتصالات مع جبل سكوبوس ونعد وضعا يسمح لنا بالدخول الى المدينة القديمة • كنت قد تفحصت ارض المعركة قبل ايام من نشوبها وذلـك لاراقـب التحصينات والمواضع واذكر ماذا وكيف كانت مواقع العدو •

الساعة ١٤ر٢٥

ناركيس يتلقى امرا بالهجوم من جديد •• وفي نفس الوقت يكرر اودبول (كبير مراقبي الامم المتحدة) اقتراحاته الرامية الى وقف اطلاق النار •

الساعة ١٤ر٣٠

يتوجه ناركيس الى المخابرات ويطلب اليها ان تحدد له موقع اللواء الستين الاردني المصفح • يطلب اليه دايان ، هاتفيا ، ان يتجه الى القدس • وينصحه ناركيس بان يسلك طريقا الى الجنوب • يغادر يوري مقر القيادة ويلتقي الى موتـا •

الساعة ٣٠ر١٥

القوات الاسرائيلية تستولي على جميع المنطقة المحصنة الممتدة من ورائها وعلى قصر الحكومة .. خسرت اسرائيل في هذه المعركة ثمانية قتلى . يطلب ناركيس ان يؤذن له بمهاجمة اللترون .. ولكنه يصطدم برفض قاطع .

الساعة ٠٠ر١٦

يعود ناركيس مع ثلاث عربات الى قصر قيادته العام في كاستل .. وفي هذه اللحظة تبدأ فرق المظلات بالعمل .

الساعة ٤٥ر١٦

يعطي ناركيس الامر برفع العلم الوطني فوق قصر الحكومة .. ويطلب الى ضابطه ان يسلم الاعلام لموتاكي لا تقصف المدفعية الاسرائيلية كلية الشرطة عندما تقع .

الساعة ٠٠ر١٧

المدفعية الاردنية تقصف قرية بالقرب من ضواحي كاستل .

الساعة ١٥ر١٧

الطيران الاسرائيلي يتلقى امرا بقصف اللواء الستين الاردني المصفح.

الساعة ٢٠ر١٧

« يوري على استعداد للهجوم . لقد دخل الاردن . ليس في مصفحاته كاشف الغام . (لقد ارسلت جميعها الى الجنوب) . يطلب الى سيارات حاملات الجنود ان تتقدمه وتبحث عن الالغام ونزعها . ونسبة للسرعة التي كان يوري يعمل بها فقد جرح اكثر من اربعين شخصا من جنوده اثناء

البحث عن الالغام . » .

الساعة ٢٠ر١٩

احتلال منحدر عبد العزيز . « يوري يعلن استيلاءه على محطة الرادار ولكن ليس بالامكان ان يتقدم بسرعة نظرا لافتقاره لكاسحات الألغام .. سقوط بت اكسا .

يوري :

تلقينا امرا عند الساعة الواحدة بعد الظهر وطلب الينا ان نتخلص من سلسلة الجبال الممتدة من رام الله الى القدس .. كنت اعرف هذه المواقع جيدا وخاصة محطة الرادار التي دائما ما فكرت بنسفها منذ عشرين سنة .

استولينا عليها بسرعة.. وكذلك استولينا على كل من المتاريس المسلحة ومنحدر عبد العزيز ولاقينا صعوبة باحتلال القرية المحصنة جدا! .. قرية بت ـ اكسا . ولو ان احدهم جاء يقص في المدرسة الحربية ويقول ان كتيبة مصفحة ، انطلقت من السهل ، وتمكنت من احتلال المواقع المحصنة المشرفة على القدس باربع ساعات فقط ، لطردوه في الحال .. ولكن الذي حدث ان رجالي قاموا بهذا العمل .. وكانت القضية الثانية تكمن في القضاء على سيارات التزويد بالمحروقات ، فبعثت بمدرعة لكل سيارة فاسكتتها جميعا ما بين الساعة ١٧و١٩ . ثم دخلت الكتيبة المصفحة وراحت تكشف مواقع الألغام وتفجرها الواحد تلو الآخر .

كان ناركيس من الرأي القائل بان اللواء الستين الاردني المصفح ربما سيحاول نصب كمين لسارية يوري عند مفترق طريق رام الله ـ القدس .. وان يوري سيكون اول من سيقع في هذا الفخ .

الساعة ٠٠ر٢٠

ناركيس يعود الى القدس •

سور بحير في ايدينا ولكن هناك ما يشير الى هجوم معاكس •

يذهب ناركيس الى الكنست ليلتقي فيه دايان الذي سيحضر لاداء اليمين كوزير للحربية • يتأخر دايان عن الحضور ويؤجل الاحتفال •• وبالفعل لم يتم اداء القسم الا بعد انتهاء المناوشات •

يحضر موتا لرؤية ناركيس ويطلعه على نيته بالهجوم بعد منتصف الليل •

يلح ناركيس مرارا ويطلب السماح له بمهاجمة اللترون • يطلب ايضا الى الطيران ان يستمر بملاحقة فلول اللواء الستين الاردني •

نقاش حاد ما بين ناركيس وبارليف حول الوقت الذي ارتآه موتا مناسبا لشن الهجوم • تركت قوات موتا مراكزها فعلا في تمام التاسعة عشرة وهي في طريقها الان الى القدس •

تمنت القيادة العامة ان يبدأ الهجوم عند الساعة الثامنة ويسانده قصف جوي في نفس الوقت •• يخبر ناركيس القيادة ان الهجوم سيقع قريبا جدا من المدينة حتى يفكروا بتدخل الطيران ويستطيع اقناع رؤسائه! يتم الهجوم في الساعة الثانية صباحا •

الساعة ٠٠ر٢٤

يذهب مرشد الجيش شلومو غورين الى ناركيس ويذكره ان امام رجاله مهمة كبرى يجب ان يقوموا بها •

الثلاثاء ٦ حزيران ١٩٦٧

ناركيس يرافق موتا الى مقر قيادة هذا الاخير بالقرب من كلية الشرطة • يعاني الان قطاع القدس الاسرائيلي من ضرب مركز تقوم به المدفعية الأردنية • يصعد الضابطان الى سطح احدى البنايات ليطلعوا عن كثب على الوضع •• تقع قنبلة تزن ٢٥ كلغ وينجوان من الموت باعجوبة •

موتا

بدأت المدفعية القصف في تمام العاشرة ليلا وراحت المدرعات تجتاح الشارع لتأخذ مكانها • وما ان سمعها العدو حتى راح يقصفها واستعر اوار المعركة • ولكن بقدر ما كانت مدرعاتنا تتقدم كانت تسكت مدافع العدو الواحد تلو الآخر • كانت المدفعية تساعد المدرعات وتفتح امامها الطريق بشكل فعال • ارسلنا سيارتين لتعملان الواحدة في قطاع مدرسة الشرطة والثانية في الشيخ ـ جراح • لم تتح لي الفرصة لاشتراك في معركة مماثلة •• وكان على الجنود ان يتخطوا خمسة اسلاك من الشريط الشائك قبل بلوغ خنادق العدو •• لا بأس ، المهم انهم كانوا يصلون ويدخلونها ••• وقامت المعارك في الزوايا والمتاريس والبيوت وعلى السطوح وفي المغاور • كنا نتقدم من موضع الى آخر ونشاهد ما تركته مدفعيتنا الفعالة من خراب •• شاهدنا خنادق من الباطون المسلح دقت بكاملها •

استمرت معارك الخنادق من الساعة العاشرة ليلا وحتى السابعة صباحا • دمرنا متراسا من الباطون المسلح فيه مدفعان من العيار الثقيل ولم تكن الصور الجوية قد سمحت لنا بالتعرف اليها •• حتى ان احد ضباطنا مر فوقها دون ان يعلم ذلك •• ورغم الخطر المحدق قفز احد الجنود فوق سطح الاستحكام ورمى بقنبلة انفجرت في الحال انما استمر

المدفعان يعملان وكأن شيئا لم يكن .. عندئذ قذف احد جنودنا ثلاث متفجرات فوق الجندي الذي قفز من فوق السطح واشعل النار فيها ... انفجر الاستحكام وقتل ثلاثة من جنوده وتوقف الاثنان الآخران عن اطلاق النار .. واخيرا تقدم جندي من الموقع ، ومن الجهة المقابلة للجهة الاولى ، ورمى قنبلة فيه .. وهكذا انتهى كل شيء .

كان لدينا شاب اسمه نافتالي مكلف بمراقبة الموقع .. وفجأة شاهد بداية تحرك في جناح العدو اليسار . فركض الينا يطلعنا على ما رأى واستمر يركض ويطلق النار حتى اصيب برصاصة وخر صريعا . المعارك مستمرة والجنود والضباط يروحون ويجيئون بسرعة بحثا عن الذخيرة .. اما نحن في مقر القيادة العام لم نكن نعلم مدى قسوة المعركة وضراوتها . كنا نعلم ان هناك خسائر فادحة ولا نعلم بالضبط حقيقة ما يجري .

اما القطاع الثاني ، في الوسط ايضا ، هو حي الشيخ جراح يسيطر عليه ، في نفس الوقت ، قطاع مدرسة الشرطة وقطاع باب مندلبوم . كانت مراكز العدو تتلاشى وتضيع الواحد تلو الآخر والجرحى ينقلون بسرعة الى الوراء وجيشنا في تقدم مستمر .. وكلما كنا نتوصل الى اقامة اتصال هاتفي ونسأل عن الاخبار ، كان الجواب يأتينا دائما : « كل شيء على ما يرام ويسير حسب الخطة الموضوعة . » .

ان اكثر ما كان يقلقنا هو الجرحى والعمل على نقلهم الى المستشفيات بسرعة .

الساعة ٣ر٤٥

تم الاستيلاء على مدرسة الشرطة .

« كانت هذه اقسى المعارك اذ بلغت حصيلتها اربعين قتيلا من اصل مجموعة خمسماية مظلي) كانت المدرسة تقع تحت حماية مائتي جندي عربي .. وللاستيلاء على مركز محصن هكذا يجب ان يفوق عددنا عدد العدو بثلاث مرات على الأقل ... قاتل الجنود العرب بشراسة وشجاعة فائقتين . واستغرقت المعركة ساعات وساعات استطعنا بعدها احراز النصر الكامل .. وخسر العرب في المعركة هذه مائة وست جنود ما بين قتيل وجريح . » .

كانت المدفعية المختلفة والرشيشات تساند القوات الاسرائيلية بالقرب من كاستل .. واقيمت منارتان فوق سطح مقر الهستادروت (١) لاضاءة القطاع ولتسمح للطيران بالبحث عن العدو وتتبعه طوال الليل . كان هدفه الوحيد الاستيلاء على مدرسة الشرطة .

موتـــا :

استمرت كتائبنا تتقدم وحوالي الساعة السادسة كان فندق سفارة الولايات المتحدة في ايدينا ثم تلاه كل الحي الامريكي (٢) . كانت الضرورة تحتم علينا ، احيانا ، العودة ثانية الى الامكنة لان جنودنا يتقدمون دون ان ينظروا الى ما يتركونه وراءهم . خسرنا الكثير من الجنود واستمر الفرسان الاعداد يطلقون النار من المنازل التي لم نزرها بعد واصيب الكثير من جنودنا في ظهورهم .

وحوالي الساعة الرابعة ، مع الفجر ، قذفنا بمدرعاتنا الى المعركة ووزعناها على الجنود بينما كانت المعارك تستعر في الساحات الداخلية

---

(١) تجمع النقابات العمالية الاسرائيلية .

(٢) حي في القدس .

وعمليات التنظيف قائمة على قدم وساق •• ومع ذلك استمرينا تتقدم باتجاه متحف روكفلر • اما الكتيبة الثالثة التي اشتبكت في مندلبوم فقد صدرت اليها الاوامر ان تصل الى باب هيرود لان خططنا كانت تأمل ان تدخل المشاة من هناك الى المدينة القديمة •

الساعة ٠٠ر٦

وصل يوري وساريته الى مفترق طريق رام الله ــ القدس قبل الاردنيين بقليل ونصبوا لهم مكيدة كلفتهم خمسة عشر مدرعة ••• كان الاردنيون قريبين جدا من المدرعات الاسرائيلية وهذا ما حال دون تدخل الطيران •

وبعد منتصف الليل بقليل طلب ناركيس الى القيادة العامة انه يود ان يرى موتا ومظلييه يدخلون المدينة القديمة في الصباح •• واجابته القيادة : انتظر •

الساعة ٠٠ر٧

فرقة من المظليين المسلحين بقيادة الكولونيل يوري تدخل الى اللترون وتستولي على المدينة •• وهي عبارة عن ممر اردني في الاراضي الاسرائيلية في اقصى جنوب غربي شرق الاردن •• ولا يزال الاسرائيليون يذكرون برهبة ما حدث في حرب ١٩٤٨ حيث لاقى مئات الرجال حتفهم وهم يحاولون الاستيلاء على هذا الموقع الحصين •

(اثناء حرب الـ ١٩٤٨ قتل اسرائيلي من اصل عشرة •• اي ستة آلاف من اصل ٦٠٠ر٠٠٠ الف • ولكن الخسائر تدنت جدا عام ١٩٦٧ وبلغت ٣٧٠٠ قتيل من اصل ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ : اي بمعدل ١/٣٧٠٠) •

لم تقاوم الليترون ابدا هذه المرة واستمر المظليون يتقدمون بسرعة

على طريق رام الله • ثم شاهدوا من بعيد أبراج مناثر القدس ، « لم يسبق لنا ان رأينا القدس من هذه الجهة •• لاننا نعرف ان لواءنا يقاتل هناك ، ومن التعصب ان نقول أخيرا ان القدس ستكون لنا هذه المرة ••• فكم حلمنا ان نعيش فيها •• » •

الساعة ٢٢ر٩ :

يطلب ناركيس الى مساعده ان يتصل هاتفيا بمقر القيادة حتى يسمحوا له بالاستيلاء على حائط المبكى ••• ويأمر هو ، من جهته ، الكولونيل موتا ان يحاول ويدخل الى المدينة القديمة •

موتا :

تم تنظيف القطاع نهائيا عند الساعة العاشرة وبلغت قواتنا الاهداف التي حددت لكل فرد منها • اننا الان مستعدون للدخول الى المدينة القديمة • لم يخل الصباح من اشتباكات متقطعة تسبب بها عدونا وهذا ما دفعنا الى التخلي عن الروية والرد على النار بالمثل ومن الصعب ان يحافظ الجنود على مستواهم من التقدم في ارض مكشوفة يساندهم المشاة دون ان تدعمهم المصفحات • كان العرب يحتلون مشارف حائط الحبلى ونم يعد بامكاننا الان ان نتقدم قيد انملة ••• اذ ما ان يتحرك اي جندي لنا حتى ينهمر عليه الرصاص ويبيده •• وبدا لنا ان الدخول الى المدينة القديمة امر مستحيل •

الساعة ٠٠ر١٢

ينضم الكولونيل يوري الى المظليين فوق هضبة فرنسا بعد معارك حية دارت في الوهاد وحيث استطاع الاردنيون صد هذا الهجوم في البداية • بعد دقائق يصل دايان الى مراكز القتال •

الساعة ٢٥ر١٢

يذهب ناركيس ودايان في سيارة القيادة الى جبل سكوبوس • وهناك يصرخ دايان دهشا : « ماذا ارى في هذا اليوم السادس من حزيران: يا له من منظر رائع ! » • ينصح دايان ناركيس ان يقفل شوارع المدينة القديمة ويستولي على المرتفعات الممتدة من ورائها ، نحو الشرق •

كان دايان يتخوف من ان يفرض مجلس الأمن وقف اطلاق النار واسرائيل لم تبلغ بعد جميع اهدافها • كان يود ان يرى الجيش الاسرائيلي يسيطر على الوضع مهما كلفه ذلك واستطاع اليه سبيلا •

الساعة ٠٠ر١٣

ناركيس يأمر بمهاجمة المرتفعات ولكنه ينبه دايان الى ان العملية ستكون صعبة جدا ، لم يكن موتا يملك بالفعل سوى مجموعة من المدرعات فيمده ناركيس بمجموعة اخرى •• وبعد ساعة يشير موتا الى انه بدأ يعاني من الصعوبات وتكبد خسائر فادحة • يعود دايان الى تل ابيب في طائرة هليوكبتر •

موتا :

كان على مجموعة المدرعات الملحقة بنا ان تعيد تنظيمها وتجمعها •• وهذا يتطلب وقتا ما ، فقد وجدت نفسها وجها لوجه امام العدو وتكبدت خسائر ملموسة •

ناركيس يقرر ارجاء الهجوم حتى حلول الليل والاستفادة من الظلمة •

الساعة ١٥ر١٧

يتوجه يوري الى رام‌الله ويترك الى موتا مجموعة من المدرعات ، وفي

هذه الاثناء يخلد المظليون الى الراحة ويستعدون للهجوم • وحددت وقت العمل في تمام الساعة الثالثة والعشرين •

موتا :

ومع هبوط الليل خرجنا لنحتل المرتفعات المهينة على اوغوستا فكتوريا • كانت خطتنا تستهدف استخدام ساريتين من المدرعات ، الاولى للتغطية والحماية وتتجه الثانية رأسا على طريق اوغوستا فكتوريا •

ارسلنا مدرعاتنا الى الامام ولحقت به احدى كتائب المشاة •• وعند مشارف الحائط تعرضت مدرعاتنا لنيران المدافع المضادة فاحرقت قواتنا بعضها وخسرنا بعض سيارات الاستكشاف •• سجلنا خسائر فادحة منذ اللحظات الاولى وقررنا ادخال تغييرات طفيفة على خططنا •

الساعة ٢٠ر٢٢

كان صوت المجنزرات الصاعدة الى القدس بطريق اريحا يسمع من فوق جبل سكوبوس • وربما كان من المحتمل ان الاردنيين يستعدون لهجوم مضاد • ناركيس يلغي الهجوم المقرر في الساعة الثالثة والعشرين •• ويعلم جنوده انهم سيجابهون ، دون شك ، هجوما معاكسا اردنيا •

الاربعاء ٧ حزيران ١٩٦٧

الساعة ٠٠ر٥

بارليف يسمح بمهاجمة القدس القديمة هاتفيا • ويضيف : « بدأوا يضغطون علينا لنقبل بوقف اطلاق النار • اننا على ضفاف قناة السويس • قصمنا ظهر الجيش المصري ويجب الا تبقى القدس القديمة خارج سيطرتنا • » •

الساعة ٣٠ر٨

بدأ المظليون الهجوم تساندهم المدفعية والطيران وتقصف مراكز العدو طيلة نصف ساعة .. كانت اوغوستا فكتوريا خالية عندما دخلتها المصفحات الاسرائيلية .. وبلغت مدرعات موتا : ايزوري .

موتا :

اعتمدنا طريقة اثناء هذه العملية لم يكن قد سبق لنا واستخدمناها في حالات أخرى . تنطلق كتيبة من جبل سكوبوس وتصعد رأسا الى اوغوستا ، بينما تهاجم كتيبة اخرى الجبهة الامامية تاركة وراءها حائط المبكى والمدينة القديمة . كان على هذه الكتيبة ان تسير في منطقة محصنة ولكني قررت تحمل الأخطار وقررت الذهاب من المقدمة . اما الكتيبة الثالثة ، فتذهب من حائط هيرود وتسير بمحاذاة حائط الحبلى تحت نيران العدو ثم تعبر الحائط وتدخل الى فناء الهيكل .

وبما اننا كنا نجهل موقع العدو بالضبط ، قررنا الا نحسب حسابا لافتقارنا الى المعلومات وان نتصرف حسب خططنا .. لذلك طلبنا الى الطيران ان يتدخل عند الساعة الثامنة والنصف . طلبت كتيبة جبل سكوبوس مهلة ربع ساعة اضافية ولكني رفضت وطلبت اليها ان تبادر الى الهجوم فورا .. ثم اصدرت الاوامر الى طاقم المدرعات ان يتحركوا ويلتحموا مع العدو اينما وجدوه . استمر طيراننا يقصف دون هوادة .. والمدرعات تتقدم تقذف بنيرانها الى جميع الجهات .. ثم اتبعتهم بوحدة من المدفعية الثقيلة .. كنا نعلم ان مدرعات العدو لا زالت هناك تنتظر .. فتسلقنا القمة ورحنا نحصدها .. وهكذا بلغنا مكانا مقابل المدينة القديمة.. كان فناء المعبد امامنا وقببه المطلية بالفضة والذهب تبرق من وهج الشمس ومن ورائنا كانت المدينة الجديدة .

في تلك اللحظة طلبت الى جنودي ان يهاجموا المدينة القديمة .. كانت خطتنا تقضي بان تتقدم مدرعاتنا على طول الطريق المؤدية الى الباب .. وامرت كذلك فرق المدفعية الثلاث ان يتقدموا باقصى سرعة ممكنة .. فالذي يصل في الاول هو المنتصر . بدأنا الان بقصف الحي الاسلامي في المدينة القديمة عند حائط الحبلى حتى نجنب قواتنا عبور باب هيرود .. استمر القصف عشر دقائق فقط . وكان فعالا للغاية .. فتحت مدرعاتنا نارا غزيرة وكذلك مدفعيتنا .. نظفنا الاماكن المحيطة بالحائط دون ان نوجه طلقة واحدة الى الاماكن المقدسة او نصيبها باذى .. نسفنا قسما من حائط الحبلى الذي سنمر منه وسقطت حجارته مع اننا كنا نطلق النار الى يمين باب سانت ـ اتيان فقط .

الساعة ٥٠ر٩

موتا يدخل الى مدينة القدس القديمة من باب سانت ـ اتيان .

الساعة ٠٠ر١٠

ناركيس يصل الى زاوية برج الاوز حيث كنا نقصي الرماة من فوق السطوح .

الساعة ١٥ر١٠

ناركيس يصل الى حائط المبكى ، يرافقه كل من المرشد العام غورين، بارليف وموتا . بلغت « عملية المدينة القديمة » نهايتها .

الساعة ٠٠ر١٤

دايان يدخل الى المدينة القديمة الى جانب رابين وناركيس ويتوجهان الى حائط المبكى حيث يكتب دايان كلمة ويدسها بين حجارة الحائط .. هذه احدى عادات اليهود القديمة .. كتب دايان : « ليخيم السلام في

اسرائيل » •

يقال ان حائط المبكى هو آخر ما تبقى من اورشليم الذي دمره الامبراطور الروماني تيتوس في سنة سبعين ميلادية • وامام هذا الحائط وقف دايان يقول : « ها قد رجعنا الى اعز مقدساتنا •• وسوف لن نذهب منها الى الأبد • » • وعندما زار بن غوريون نفس المكان قال بصوت يخنقه التأثر : « هذا اجمل يوم في حياتي ! » •• وعندما رأى لافتة بالانكليزية والعربية فوق الحائط ، طلب ان تزال بسرعة •• وعندئذ تقدم احد الجنود وانهال عليها ضربا بالسنكة ولم يتوقف الا بعد ان نبهه بن غوريون الى انه قد يشوه الحجارة • وبعد ايام قرأ الصحافيون الذين زاروا المكان لافتة بالعبرية معناها : « انك في معبد ! » •

تقرر مصير المعارك في القدس بعد ظهر يوم الثلاثاء ٦ حزيران ، فصعد يوري بسرعة الى رام‌الله يرافقه فيلقان من لوائه المصفح •

دخل هذا الجيش الى المدينة عند الساعة السابعة مساء ، وهنا نترك الكلام للكولونيل يوري ليحدثنا عن انطباعاته :

« كانت هذه المرة الاولى التي يطلب الي فيها ان استولي على مدينة مع هبوط الليل ••• وهناك كانت تكمن القضية بكاملها • قررنا ان ندخل الى رام‌الله يرافقنا فيلق من المدرعات تطلق النار الى جميع الجهات • عبرنا المدينة عدة مرات وسيطر الهدوء رويدا رويدا • كانت هناك مقاومة صغيرة لا تتعدى طلقات البازوكا ولكن السكون خيم بعد ٤٥ دقيقة •• نظفنا المدينة اثناء الليل وتمركزنا في اماكن الى الجنوب والشمال على جانبي رام‌الله •• وفي الصباح توقفت المقاومة ونظفت المدينة •

وفي الوقت الذي كان يوري يستولي على رام‌الله ويستعد للتوجه الى

نابلس ، كانت جنود الجنرال اليزر ، قائد الجبهة الشمالية تنزل باتجاه الجنوب • كانت الخطة الاسرائيلية تقضي بوضع نابلس بين فكي كماشة •• ولا ننسى ان نابلس هذه هي اكبر مدينة في سفح شرق الاردن •• وان احتلالها قد يؤدي الى احتلال الاردن كله •

عبرت احدى كتائب الجنرال اليزر المصفحة التي تساندها الدبابات ، عبرت الجبهة الاردنية في الساعة ١٧٫٤٥ واتجهت الى جنين • كان هدفها احتلال هذه المدينة واسكات المدافع الاردنية الطويلة المدى التي تهدد قاعدة رامات دافيد الجوية الكبرى • وعند الساعة الثانية في صباح الثلاثاء اشتبكت هذه القوات مع لواء المدفعية الاردنية الخامس والعشرين فوق المرتفعات الشمالية الغربية المسيطرة على جنين • واثناء الاشتباك الضاري تعرضت كتيبتان اردنيتان لخسائر فادحة وابيدت الكتيبة الثالث •• حدثنا الجنرال اليزر بنفسه عن هذه المعركة فقال :

« تم الاشتباك في الليل •• ويصعب علينا اسر الجنود ليلا • » • وبعد الفجر بقليل دخلت كتيبة من المشاة الاسرائيليين واستولت على المدينة •

كانت القيادة الاردنية تملك ثلاثين دبابة من طراز باطون م — ٤٧ وكتيبتين من اللواء الاربعين المصفح بالاضافة الى ٨٨ مدرعة باطون ايضا بالقرب من جسر داميا على نهر الاردن • كانت القوات الاردنية هذه تفوق اذن القوات الاسرائيلية ويستحيل على اسرائيل ان توزع في القطاع اكثر من مائة دبابة •• ولهذا نظموا عدة تحركات لقواتهم حول قرية (بت شهان) في اسرائيل ، القريبة من الجبهة ، كي يتسنى لهم حمل الاردنيين على تجزئة قواتهم ويوجهوا كتيبة من لوائهم الاربعين الى الجبهة مقابل القرية الاسرائيلية •• وفي هذه الاثناء بعث الاسرائيليون بكتيبة مصفحة

الى شمال جنين وتقدمت طيلة يوم الاثنين الى المرتفعات في شرق المدينة وذلك لتحل نابلس من الوراء • وكانت كتيبة من اللواء الاربعين الاردني المرابطة فوق جسر داميا قد عبرت نابلس وتحاول دعم وحدات الكتيبة العربية التي تعاني صعوبات جمة الان في منطقة جنين • كان هدفها يقضي بقطع ممر المصفحات الاسرائيلية الى كابتر في شمال غرب نابلس • ولكن الاسرائيليين كانوا قد احتلوا هذه المدينة عند دخولهم اليها وعلى الاسرائيليين الان مواجهة عدو سبقهم واتخذ له امكنة ملائمة للقتال • انقضت الكتيبة الاردنية على نابلس وتبين لها ان المدينة قد احتلتها المصفحات الاسرائيلية التي دخلتها من الشمال •

حدثنا الجنرال اليزر عن ذلك فقال : « لم يفهم الاردنيون على الاطلاق الى اية وجهة كنا نسير المهم في جهودنا • » •

كانت الطائرات المقاتلة الاسرائيلية من طراز ميراج وميستير ، ترافقها طائرات فوغا ماجستر التدريبية ، تقصف الاردنيين دون هوادة ، في الليل كما في النهار • مما لا شك فيه ان الطيران ليس فعالا جدا عند ضربه المدرعات وكثيرا ما تصيب الطائرات ، اثناء الحرب ، عربات ومدرعات الجيش الذي تنتمي اليه نفسها •• ولذلك ازعجت الطائرات جدا حركة المرور في الممرات الضيقة عند منحدر التلال •• عندئذ بدت التموينات والامدادات المرسلة الى المصفحات الاردنية تعاني من صعوبة المرور •• مما اجبر الكثير من المدرعات الاردنية على التوقف لنقص الوقود فيها واجبر طاقمها على تركها فضاع الكثير منها ووقع قسم لا بأس به في ايدي الاسرائيليين بعد ان استحال عليها التقدم او الرجوع •• واقفلت المدرعات المحطمة والمهجورة الطريق• وهكذا استطاع الاسرائيليون ان يدمروا ٤٥ مدرعة اردنية ويستولوا على ٤٠ او ٤٥ اخرى وجدوها مهجورة

لم تمس باذى •

يقول الجنرال اليزر ان كل ذخيرة لواء المشاة ٢٥ واللواء الستين المصفح قد ابيدت وهرب قسم كبير من جنودهما •• وقدر عدد الجنود الاردنيين الذين قتلوا بثلاثة آلاف جندي يضاف اليهم الجرحى والاسرى في قطاع شرق الاردن الشمالي ، وبينما كانت فرقة اليزر تضع يدها على قطاع شرق الأردن الشمالي ومظليو موتا يصفون جيوب المقاومة في منطقة القدس ، كان الكولونيل يوري ينزل من رام الله ونابلس نحو وادي الاردن وضفاف البحر الميت ومرتفعات الجليل الواقعة على عدة مئات من الامتار تحت مستوى البحر ••

واليك ما قاله لنا الكولونيل يوري :

« اكملنا طريقنا باتجاه اريحا • حملنا معنا بعض الابواق ولم نكن بحاجة الى اكثر • لم تتبين سطوح المدينة عندما نزلناها الا بعد فترة طويلة • كان الطريق صعبا ولم نلتق اية مقاومة اثناء سيرنا ولكن فرقتنا الاستكشافية التي كانت تسير امامنا على مسافة عشر كيلومترات ، استطاعت ان تتعرف الى بقايا مدرعات الباطون المحروقة •

« انقسمنا الى ساريتين : واحدة تهاجم مركز البوليس ، اقوى نقطة محصنة في المدينة ، والثانية تعمل بموجب ما سبق واستخدمناه من تكتيك في رام الله ، فتعبر باتجاه اريحا وتمشط ما بقي من مقاومة على طريقها • استمرت الطلقات من فوق السطوح وتحركات العدو طيلة الليل •• وعدنا مرة ثانية لتنظيف المدينة واعادة الهدوء اليها • ثم نزلنا نحو البحر الميت حيث لم يتبق لنا اي كيبوتز ، فقد دمرها العدو ولم يترك منها حجرا على حجر • » •

والى اقصى الغرب ، كانت القوات المسلحة الاسرائيلية تستولي على مدينتي طولكرم وقلقيليا الواقعتين بالقرب من الحدود ... ومن هاتين المدينتين تعرضت تل ابيب والسهل الساحلي لقصف مدفعي شامل وكثيف .. ولم يفكر الاسرائيليون باحترام الملكية الخاصة فنسفوا منازل كثيرة ولم يبقوا على شيء من قلقيليا .. والغريب ان موشي دايان عاد الى المدينة بعد اسبوع واجتمع الى سكانها واعاد اليهم ما تبقى من ممتلكاتهم ووعد بالمساعدة في اعادة بناء المدينة من جديد .

وفي قطاع شرق الاردن الجنوبي ، كانت قوات الكولونيل أميتاي ، قائد منطقة القدس ، تحكم سيطرتها على هذه الارض . وقبل الساعة العاشرة من صباح الاربعاء ، وبينما كان موتا يستعد وقواته لاجتياح المدينة القديمة ، كان الكولونيل اميتاي يحشد قواته بالقرب من قبر راشيل ثم يصدر اليهم الاوامر بمهاجمة المواقع الاردنية في جنوب القدس .

وما ان استولى اميتاي على هذه المواقع حتى تابع سيره نحو بيت لحم وحبرون واستولى عليهما في المساء دون ان يتعرض لمقاومة شديدة .. وعند الظهر كانت القوات الاردنية تخلي منطقة حبرون الى الابد .

ساهم التفوق الجوي الذي حققه طيران اسرائيل في سماء الشرق الاوسط ، ساهم ، دون شك ، بقدر هام في انتصار اسرائيل ... فمنذ اليوم الاول من الحرب فقد الجندي العربي اي غطاء جوي ولم يعد ليفكر بمساعدة جوية تحميه وتشد من ازره . ويستحيل القتال ليل نهار والتعرض في نفس الوقت لقصف جوي مركز .

كانت القوات الاردنية دون بقية الجيوش العربية من حيث العدد والذخيرة .. وهي فقط استطاعت ان تتصدى لاسرائيل وتنزل بها خسائر

فادحة وتوجه اليها ضربات قوية . ولم يحاول المصريون ولا السوريون القيام بادنى دفاع اثناء فترة الحرب ، باستثناء قصف الوحدات الزراعية الموجودة على الجبهة الثانية من الحدود . قام الاردنيون بواجبهم كمدافعين حقيقيين عن القضية العربية ، ويعتبر الاردن البلد العربي الوحيد ، من بين ثلاثة عشر بلد عربي آخر ، يعتبر الوحيد الذي قاتل جنوده بحماس وضراوة واستشهدوا فوق ارض المعركة .. تكبدت الاردن خسائر فادحة في العتاد وخسرت الالاف من جنودها .. واجبرت على التخلي عن قسم كبير من ارضها بما فيه القدس والاراضي المقدسة التي كانت لتسمح لها بتطوير السياحة وازدهارها وكذلك تنمية اراضيها الغنية من الناحية الزراعية .

وهكذا استولى الاسرائيليون مساء يوم الاربعاء ٧ حزيران على القدس ، مدينة الملك داود ، وحبرون ، مدينة ابراهام وجميع الاماكن المقدسة الكثيرة المنتشرة في تلك المنطقة . قبل هذه الاحداث بخمسة عشر يوما ، كانت قلة من اليهود فقط تأمل انه بالامكان استعادة تلك الاماكن .. وعندما انتهت المعارك صرح الجنرال ايزر وايزمان لاحد مؤلفي هذا الكتاب فقال :

« افهم لماذا اقيمت اسرائيل فوق هذه الأرض وليس في اوغندا او كندا : كنا لن نستطيع ان نقاتل كما قاتلنا هنا من اجل انشاء دولة يهودية في العالم . ان للقدس وشرق الاردن ولفلسطين بكاملها نظرة خاصة عندنا تحمل اعمق المعاني .. وهذا هو اساس الصهيونية . » .

الفصل الثامن

المرتفعات السورية

اشتركت سوريا في المعارك البرية يوم السادس من حزيران • وقد دهشت اسرائيل لامتناع سوريا عن الهجوم البارحة • الم تكن هي البلد الوحيد ، بين الدول العربية ، الذي اعتبر الحشود الاسرائيلية موجهة ضده في الدرجة الاولى ؟ ويعلل الجنرال اليزر هذا التأخر الى المعاهدة المصرية — الاردنية التي وقعت بين الملك حسين والرئيس عبد الناصر قبل بدء الحرب باسبوع • كان السوريون يترقبون ما ستؤل اليه معركة سيناء وعلى ضوئها يقررون خوض المعركة ام لا • ولكنهم انخدعوا باقوال القاهرة ، كما انخدع الاردنيون وبدأت مدفعيتهم تعمل على طول السلسلة الجبلية الممتدة من بحيرة طبريا الى بانياس ، عند اسفل جبل حرمون (الشيخ) •

ومنذ بداية حزيران ، استطاع الاسرائيليون ان يلاحظوا بان السوريين يقومون بتحركات مريبة على الجبهة المقابلة لقرية مشمارهايارون في اسرائيل • كانت هذه القوات تتكون من عدة كتائب مشاة ولواء مصفح وكتيبة متحركة •• كما كان عدد من المدرعات السورية موزعا ما بين القنيطرة والمركز الجبهوي المشار اليه مثلا •• ورای الاسرائيليون هناك دليلا محتملا على نوايا السوريين الهجومية ، ودلت بعض الخطط التي اكتشفتها المخابرات الاسرائيلية فيما بعد في القنيطرة ان السوريين كانوا ينوون دخول اسرائيل من ثلاثة محاور • واتضح انهم يركزون قبل كل شيء على ميشمار هايردان ، ثم يتقدمون فيما بعد باتجاه حيفا والغرب ،

بينما تهبط كتيبة على الناصرة في الجنوب •• وتتجه كتيبة ثانية الى تل كاز الى اقصى وسط بحيرة طبريا بمحاذاة وادي الاردن ، ويفترقون عندئذ نحو الشمال الغربي ليصلوا الى عفولا • واخيرا تتجه الكتيبة الثالثة الى عكا مرورا بالاراضي اللبنانية • وبالفعل لم يشن الجيش السوري على اسرائيل الا ثلاث هجومات برية طيلة فترة الحرب ، اتصفت كلها بصبغة محلية يقوم بها فيلق من جنود المدفعية تساندهم مجموعة من ١٥ او ٢٠ مدرعة • كانت هذه العمليات موجهة ضد مستعمرات تل دان ، كيبوتز — دان وشهار — ياشوف في اقصى شمال شرق اسرائيل •• وحدثت كلها في يوم واحد هو السادس من حزيران •

قال لنا الجنرال اليزر :

« اعتقد شخصيا ان هذه الهجمات كانت خدعة تهدف الى تحديد مواقع قواتنا والاستيلاء على بعض الاراضي ، كما سمعتهم يدعون فيما بعد • » •

لزم الاسرائيليون خطة الدفاع في الدرجة الاولى وطيلة اسبوع بكامله مع انهم تعرضوا لهجوم صاعق بالمدفعية المركزة فوق المرتفعات السورية • ويقول الجنرال اليزر انهم — أي اسرائيل — لم يحاولوا الرد على النار ولو مرة واحدة طيلة ثلاثة ايام ولو انهم فعلوا ذلك لكشفوا عن مخابىء بطاريات المدفعية ويعرضوها اكثر فاكثر لنيران العدو الكثيفة •

كرس الطيران الاسرائيلي يوم الاثنين لابادة جيوش الجو عند كل من سوريا ومصر والاردن •• وعاد يومي الثلاثاء والاربعاء يبيد المدرعات والمجنزرات ويصد الهجمات البرية في سيناء وشرق الاردن •• ولم يهتم بالجبهة السورية الا ايام الخميس والجمعة والسبت ••

بنت سوريا ، بمدة تسعة عشر سنة خطا يشبه خط ماجينو [1] وهو عبارة عن جهازمحصن تحت الأرض يتكون من معاقل مسلحة وحفر للدبابات ومراكز لمختلف الاسلحة تمتد على طول هضبة الجولان المشرفة على جميع السهول الاسرائيلية . وقد وصفها لنا الجنرال بيلد قائد فرقة في لواء الجنرال اليزر ، فقال : « تمتد هذه التحصينات على عمق ١٥ كيلو مترا .. وهي لا تتألف فقط من خط دفاعي او خطين او ثلاث ولكن من مجموعة مراكز محصنة ومواضع لاطلاق النار . واخبرنا الجنرال اليزر ان السوريين كانوا يطلقون ، لو ارادوا ، عشرة اطنان من القاذفات في الدقيقة ويعود الفضل في ذلك الى ٢٦٥ فوهة في الصخور يشاهدون منها كل شيء ولا يراهم احد .. ولم يدخل في ذلك قاذفة الصواريخ كاتيوشيا ، السوفياتية الصنع . كان بامكان تلك الحافلات المسطحة ان تقذف اربعة وعشرين صاروخا في الدقيقة الواحدة ، ونبهنا فيما بعد الى ان هذه الصواريخ التي يبلغ مداها ١٥ كيلومترا وتحمل متفجرة تبلغ ١٥ و ٦ كلغ ، ليست دقيقة جدا اذا ما بقيت فعالة على المستوى المحلي وحسب . ومن بين قطع المدفعية التي استولى عليها الاسرائيليون في الجولان ، نجد عددا هائلا من المدافع الروسية ١٣٠ الحديثة الصنع والتي يبلغ مداها ٢٥ كيلومترا .. ضف الى انه كان في حوزة السوريين اكثر من مائتي مدفع مضاد للطائرات .

وفي الثامن من حزيران ركزت الطائرات الاسرائيلية على المدافع المضادة السورية واسكتتها . قال لنا الجنرال هود : « كانت قنابلنا مزودة بجهاز فرملة يسمح لها بالانفجار فوق الهدف ، وذات اثر مبيد » . وما ان انتهى الطيران من ايسكات المدفعية المضادة حتى عاد الى المدافع التي ما زالت تحصد المستعمرات الاسرائيلية . تعرضت المعاقل السورية يومي

---

(١) Ligne Maginot

الجمعة والسبت لقصف جوي مستمر ولم تؤثر فيها قنابل يتراوح وزن الواحدة ما بين ٢٥٠ و ٥٠٠ كلغ نظرا لسماكة الباطون المصنوعة منه وحتى قنابل النابالم عجزت عن اصابتها اذ ان هذه المعاقل بنيت بطريقة لا تسمح بتسرب اللهيب السائل الى الداخل .. ومع ذلك استمرت اسراب الطائرات تقصف باستمرار . قال لنا الجنرال هود : « كنا نحصدهم دون هوادة .. ونركز عليهم في الليل لنحرمهم من النوم . » .. وصباح السبت غادر السوريون معاقلهم بكثرة وتبعهم الطيران الاسرائيلي على مسافة اربعين كيلومترا من دمشق وهو المكان الذي حددته القيادة العليا الاسرائيلية .

كان الجنرال اليزر يرغب بمهاجمة الجولان منذ يوم ٦ حزيران ، أي يوم بدأ السوريون بحصد المنطقة الواقعة بالقرب من الحدود وقاموا بهجماتهم الثلاث التي سبق وتحدثنا عنها في مستهل البحث .. وكان بالفعل مقتنعا ايضا من تحقيق اهدافه حتى بدون مؤونة وامدادات ... ولكن امر الهجوم ارجيء عدة مرات .. ويبدو ان آخر ارجاء (من الخميس الى الجمعة) قد قرره دايان بنفسه . كانت الضرورة تقضي ، فعلا ، قبل بدء الهجوم ، ان تعمد الطائرات الى « تليين » المواقع السورية .. ويجب افساح المجال امام القوات اللاهثة التي عملت على جميع الجبهات لترتاح وقد بدأت الآن تتدفق من الشمال .

ربما كان هناك سبب آخر ، غير الافتقار الى الجنود المرتاحين ، يدعو الى الانتظار .. وربما كان قادة القدس يعلمون منذ صباح الخميس ان سوريا يجب ان ترد على نداء الامم المتحدة وتتقيد بوقف اطلاق النار .. وظنوا ان على سوريا ان تقبل ما زالت تجد نفسها عاجزة عن صد الهجوم الاسرائيلي ـ كما فعلت مصر ـ وسيكون هذا احسن في صالحها فتوفر عتادها وجنودها . ولكن الاسرائيليين قرروا ان يمضوا حتى النهاية يوم

شنوا حرب الخامس من حزيران . ومن المعقول انهم فضلوا ارجاء الهجوم اربعة وعشرين ساعة اخرى قبل ان يسارعوا الى تنفيذها حتى النهاية منذ ان ترفض سوريا وقف اطلاق النار او تخرقه .

كان الجنود في نوبة حراسة في شمال شرقي البلاد وما ان علموا بان سوريا ، بعد مصر ، قبلت بوقف اطلاق النار يوم الجمعة عند الساعة ٣٫٢٠ (حسب التوقيت المحلي) ، حتى اصيبوا بخيبة امل كبرى في صفوفهم . وحدثنا احد المظليين عن شعورهم العام فقال :

« كنا نود جميعا تلقين سوريا درسا لن تنساه ابدا .. لم نكن بحاجة لذلك مع المصريين وكان الاردنيون لطيفين جدا ، اما السوريين ، فان الوضع يختلف معهم كليا : بيننا حساب نود ان نصفيه .. انهم يطلقون نيرانهم على مستعمراتنا منذ تسعة عشر سنة . » .

كان مقررا ان يشترك هذا المظلي في الهجوم المرتقب على العريش ليلة الاثنين ـ الثلاثاء . ولكن العملية الغيت ونقلت وحدته الى الجبهة الاردنية ثم طلب اليها ان تتوجه ، صباح الاربعاء الى طبريا استعدادا للهجوم ضد سوريا . تزودت فرقة المظليين بعدد كبير من العربات التي استولت عليها من الاردنيين ورفع الجنود الاعلام الاردنية فوق عربات الجيب ونصف المجنزرات . وكان سكان القرى التي يمرون فيها يرحبون بهم ويحيونهم ويرمونهم بالازهار والسجاير وعلب البيرة .

وكما غرس نابوليون اشجارا على طول الطرقات الرئيسية الفرنسية ليتمكن جنوده من السير في ظلها ، كذلك غرس الاسرائيليون ، منذ عشرين سنة ، صنوفا متوازية من الاشجار على طرقاتهم حتى لا تشاهد عرباتهم من الجو .. وكانت المدرعات الاسرائيلية على ضفاف بحيرة طبريا محجوبة

عن عيون الرماة السوريين ..

ونعود الآن من جديد ونستمع الى المظلي يكمل قصته :

« كنا اولا في مصر ثم في الاردن وأخيرا في سوريا .. وكنا نود ان نقوم بزيارة الى لبنان لاننا نحب الرحلات منذ طفولتنا . المنظر رائع في الجليل .. حتى تظن نفسك وكأنك في سويسرا .. نعسكر عند السفح بالقرب من موشاف قديم (١) .. مسألة اضاعة وقت فقط .. كانت حقول المغور في الجهة الثانية من البحيرة تشتعل .. هذه نتيجة القنابل السورية .. كنا نستمع الى الانباء بواسطة راديو ترانزستور .. يقال ان السوريين قصفوا مستعمراتنا .. ونشاهد نحن طائراتنا ومدافعنا تقصف بحماس المواقع السورية . لقد قصفوا طيلة يومين باستمرار .. وكلما اصابت مدفعيتنا شيئا ، كنا نصفق لها واي كان غيرنا كان ليفعل نفس الشيء .. ولم يفطن احد منا الى وقف اطلاق النار .

وعند الساعة الثالثة والنصف (حسب التوقيت المحلي) ، الوقت المحدد لوقف اطلاق النار ، حدثت فترة استراحة قصيرة : سكتت المدافع السورية واوقف الطيران الاسرائيلي غاراته . ولكن « الهدنة » لم تدم طويلا وعاد كل شيء الى « طبيعته » : المدافع تقصف والطائرات تغير . لا احد يعرف على من تقع مسؤولية اختراق وقف اطلاق النار .. ولنفترض وجود احد ، ولكن هذا معناه مدعاة للتناقض ونفي الطرفين للمسؤولية . طبعا ، كان الاسرائيليون يصرون على « معاقبة » سوريا ، ولو انهم امتنعوا عن القتال في آخر لحظة فقد غامرهم شعور بالحقد : اليست سوريا هي التي خلقت اجواء الحرب ؟ ولكن الجيش السوري ، من جهته لم ير ما

(١) موشاف : تعاونية زراعية .

يدعو للامتثال باوامر الامم المتحدة حتى ولا باوامر حكومته .. اذ كان مقتنعا ان حصونه القوية تحميه .

ومهما يكن ، فقد تلقى الجنرال اليزر فيما بعد ، صباح يوم الجمعة ، امرا بالهجوم وفي الساعة الحادية عشرة والنصف كانت القوات الموضوعة تحت امرته تشن هجوما مفاجئا . يقول الجنرال اليزر ان الجيش السوري حشد في المنطقة الوحدات التالية : ثلاث كتائب نظامية ، الحادية عشرة والثامنة والتاسعة عشرة التي احتلت خطوط الدفاع طيلة السنة ، وبعيدا الى الوراء ، كتيبتان من المشاة : الكتيبة تسعين الى شمال القنيطرة والكتيبة ٣٢ الى جنوب المدينة نفسها : وتضم كل كتيبة فيلقا من المدرعات طراز ت ـ ٣٤ و SU ـ ١٠٠ ، بالاضافة الى ثلاثين مدرعة تتمركز ، ايام السلم ، في ملاجىء ارضية ، يضاف الى هذه الفرق قوة ضاربة تتكون من كتيبتين من المصفحات وكتيبتين متحركتين .. ثم جاءت كتيبة مصفحات ثالثة وكتيبة متحركة لتساندها قبل ٥ حزيران .

وليلة الجمعة تكونت فرقة تضم عناصر من المدفعية والمظليين وكتيبة من المصفحات يرافقهم منقبون من سلاح الهندسة والبلدوزر وحرصوا على ان يتم كل شيء في الظلام . وعند الساعة الحادية عشرة والنصف قامت بمهاجمة الخطوط السورية فوق كفار ـ زولد . لقد اختارت القيادة العليا الاسرائيلية احدى النقاط الأكثر انحدارا ووعورة في الجبهة ، وبالتالي الاقل حراسة نسبيا ، لتدخل الى سوريا . ثم قام فريق من الكوماندوس ، مشاة ومصفحات ، بمهاجمة التلال المحصنة ما بين عين فيت وزاعورا وعلى مسافة اكثر من الفي متر فوق السهل . جاءت البلدوزر في المقدمة تفتح الطريق امام المدرعات والمشاة المتحركة في لسيارات نصف المجنزرة التي تلتها . كان سلاح الهندسة يقود البلدوزر دون اية حماية ... وبينما كانوا

يتقدمون بصعوبة بالغة فوق المنحدرات الوعرة فتحت المدفعية السورية النار عليهم .. فتكبد الاسرائيليون خسائر فادحة لم يحسبوا حسابها قبل شن الهجوم . وقتل الكولونيل موسى كلين ، قائد الكتيبة على رأس رجاله .. وبعد برهة وجيزة قتل الكولونيل الذي خلفه في القيادة ولاقى كثيرون غيره نفس المصير . وأخيرا تم تعطيل العربات المنغرزة في الارض بعد ان شق المشاة طريقا لهم في الجبل ورموا في داخلها قنابل فجرتها بدل ان تترك غنيمة باردة للسوريين .. ولم يتبق من البلودوزر الثمانية سوى خمسة من ثمانية اما سائقوها فقد هربوا واختفوا جميعا .

عندئذ هاجم المشاة الاسرائيليون المواقع السورية المحصنة جدا في تل العزيزيات وتل فخر وبرج برافيل ... ولعل اشد المعارك ضراوة هي التي دارت في تل فخر . توقفت اول فرقة من المهاجمين امام شبكة من الشريط الشائك واستطاع بعض الرجال من الفرقة الثانية تخطي الشريط وحقول الألغام وبلغت فرقة ثالثة ، اخيرا ، خنادق العدو .

يقول الجنرال اليزر :

« بعد ثلاث ساعات من المعارك استعملت فيها العصي والسكاكين وقبضات اليد والاسنان ، سقط الموقع في ايدينا . » .

ومع ذلك لم تفكر المدفعية السورية باطلاق النار على المهاجمين او على الطريق الذي سلكته عرباتهم ، بل استمرت تقصف المستعمرات الزراعية كما اعتادت ان تفعل منذ سنوات وبفعالية متدنية آنذاك لان الكيبوتز اصبحت تضم ملاجىء ارضية ومتاريس يلجأ اليها السكان في الاوقات العصيبة .

وبعد نهاية الحرب وجه الينا الجنرال اليزر صورة عن كشف عام

بالاضرار التي خلفتها هذه الايام الاربعة من القصف المتواصل : « ٢٠٥ منازل ، ٩ تعاونيات تربية دواجن ، ثلاث غرف اجتماعات ، ٦ مزارع دجاج، ٣٠ تراكتور و ١٥ سيارة اصيبت كلها باضرار فادحة ، ٨٠ هكتارا من الاشجار المثمرة و ٣٥ هكتارا من الحبوب احترقت جميعها في الحال . قتيلان و ١٦ جريحا . » ومن المعلوم ان نتائج غثة كهذه اخجلت المدربين الروس في الجيش السوري .. واستطاعت المخابرات الاسرائيلية ان تلتقط نداء موجها جاء فيه : « اوقفوا قصف المزارع ... اطلقوا النار على القوات المسلحة ! » وبعد مدة التقطت المخابرات نفسها رسالة اخرى من نفس المصدر ــ روسي طبعا ــ جاء فيها : « السود ينجون بانفسهم . » وقال لنا الجنرال ياريف رئيس الاستخبارات : « لا شك انهم يعنون الخراف » .. ولكن الجنرال اليزر ، اكد لنا من جهته استلام النداء ــ بالروسية ــ وفيه اوامر تتعلق مباشرة بتسيير وتوجيه طلقات المدافع .

وفي نفس الوقت الذي يشن فيه الجنرال اليزر اهم هجوم له ، يقود هجومين ثانويين الى الجنوب ، انطلاقا من غونن وأشمورا ، في الاراضي الاسرائيلية وذلك ليترك للسوريين مجال التساؤل عن ماهية اهدافه الحقيقية .. ــ (استخدم هذان الهجومان لفتح طريق امام المصفحات التي زحفت صباح يوم السبت من غونن باتجاه عين الرواي) .. وفي الليل انشأ الاسرائيليون راسي جسر في سوريا .

قال لنا الجنرال اليتزر : « لم نحاول ان نستغل كل نجاحنا تلك الليلة لان الفجوة التي احدثناها تمتد على طول المحاور الضيقة والى المكان المصاب .. ثم ان تسلق الجبل وضعنا امام مشاكل عويصة وخاصة فيما يتعلق بقيادة المدرعات وسير الذخيرة . استطعنا اثناء الليل ترتيب جنودنا بسهولة استعدادا للمرحلة الثانية . » .

بدأت القوات الاسرائيلية ــ يساندها طيران كثيف ــ تتقدم في جميع القطاعات . وهاجمت وحدة جديدة من المصفحات في الفجر باتجاه تل ــ تمرا ، وذلك لتساعد هجوم الكتيبة التي استولت على بانياس في الجولان وتنظف كل القطاع الشمالي المحاذي للجبهة اللبنانية ــ السورية وذلك قبل ان تتوجه نحو الشرق لتشترك في الهجوم على مسادي .

انهى القسم الكبير من الجيش الاختراق البارحة واندفع سريعا الى القنيطرة .. وكانت الكتيبة المسلحة التي اخترقت الخطوط السورية المقابلة لغونن ، تتقدم بسرعة باتجاه عين الراوي رغم المسالك الوعرة . احتلت اماكن كثيرة استعملتها المدفعية المعادية ثم افترقت الى الجنوب والقنيطرة .. وعندما استولت الكتيبة العاملة في الجولان على بانياس ، اندفعت بدورها نحو القنيطرة واشتركت في عمليات تنظيف المدينة .

تم حصار القنيطرة يوم السبت عند الساعة الثالثة عشرة وعند الساعة الرابعة عشرة والنصف كانت المدينة في يد الاسرائيليين . استمرت المعركة طيلة ٢٧ ساعة بالضبط .. ويقول الجنرال اليزر : « لم يتبق للسوريين سوى كتيبتين مسالمتين وفرقة مصفحات وفرقة متحركة ، تركوا جميعهم القنيطرة وعادوا الى دمشق حتى يتسنى لهم الدفاع عن العاصمة . وانهار الجيش السوري كليا .

قال لنا الجنرال : « بعد احتلال القنيطرة ، لم يعد امامنا سوى ادخال بعض الرتوش على الاراضي التي نحتلها كانت طريق دمشق مفتوحة امامنا الآن وبامكاننا ان نصل الى العاصمة في مدة ستة وثلاثين ساعة . » » .

قدر الجنرال اليزر عدد القتلى السوريين بالف وتراوح عدد الاسرى ما بين ٥٠٠٠ و ٦٠٠٠ اسير .. اما بالنسبة للاسرائيليين فقد خسروا مائة

وخمسة عشر قتيلا و ٣٠٦ جريحا • واستنادا الى المصادر الاسرائيلية ، خسر الجيش السوري ثلث مدرعاته (سقط منها اربعون مدرعة في ايدي الاسرائيليين ولم تكن قد مست بعد) ••• كما خسر - اي الجيش السوري ، اكثر من نصف مدافعه العائدة الى فرق المدفعية الثمانية واستولى الاسرائيليون على الباقي •

وصباح السبت نفسه ، دخلت وحدة اسرائيلية مدرعة ، يقودها الجنرال بليد ، الى سوريا ، الى الجنوب من بحيرة طبريا • كانت هذه الوحدة تتكون ، بالاضافة الى قسم من المشاة الذين تسلقوا صخور التوافيق ، من عناصر مصفحة صعدوا الى اعالي وادي اليرموك ومن مظليين نقلوا بالطائرات المروحية الى خلف المواقع السورية وعزلوها •• وفي نفس الوقت دخلت سارية من المدرعات الى الاراضي السورية وسارت باتجاه دار باشية فنظفت القطاع قبل ان تنضم الى قوات الجنرال بليد في بوتميه •

وكان المظلي الذي روى لنا القصة من الكوماندوس الذين نقلوا جوا الى ارض المعركة •• قال لنا :

« أستمر الطيران ست دقائق • كانت الرحلة ممتعة للغاية ولم يكن ينقصنا سوى مضيفة • طرنا فوق مدفع مضاد سوري يعمل عليه اربع رجال • لم يطلقوا النار علينا • ولا يمكن ان تحدث اشياء شبيهة الا في جيش عربي •• نزلنا في حقل حنطة وانهيناهم ••

بعد ذلك استولينا على معسكر حربي بالقرب من (فيك) كان المعسكر فارغا بعد ان غادره جميع الجنود ولم نجد سوى حارسا عند الباب فتدبرنا امره • تختلف المعسكرات السورية كليا عن المعسكرات

الاردنية التي انشأها الانكليز واحسنوا تنسيقها •• بينما لا زالت المعسكرات السورية تعاني من الفوضى • لم نجد ما نأكله سوى بعض الشكولا وكميات من زجاجات الكولونيا •

وجدنا الشكولا والروائح العطرية في المدرعات التي هجروها ، لم تكن سجايرهم من النوع الجيد بعكس التي تذوقناها في الاردن •• ووقفنا الى كمية من التمور من الصنف الممتاز • دخلنا الى ملجأ يبدو انه كان معدا للضباط ووجدنا فيه فراشين •• تفح من احدهما رائحة كريهة فأخرجناه واشعلنا النار فيه •

انضم الينا عدد من كوماندوس البحرية •• لم يكن لديهم عمل في البحر فجاؤا يعرضون علينا مساعدتهم •

استمعنا في المساء الى نشرة الاحوال الجوية من الراديو • كانت تحدث دائما عن الطقس المترقب في الجليل وتل ابيب والنقب •• انما تحدثت الآن عن شرم الشيخ وغزة وحبرون والقنيطرة والاردن ••• كنا نصرح جزلين كلما اعلن المذيع اسما جديدا ••• ونفهم من صوته انه متأثر جدا •• كنا نطل من معسكرنا على طبريا والمرتفعات الممتدة من بعدها •• وما ان هبط الظلام حتى اضيئت جميع الكيبوتز ••• منظر رائع لم نشاهده منذ تسعة عشر سنة •• وفي البعيد كنا نرى جبل تابور وجبل زرفات •

ومساء السبت وصلت مجموعة كبيرة من المساجين •• اجلسناهم ارضا وظهورهم الى الطريق حتى لا يشاهدوا سياراتنا تمر • بقيوا هناك تحت الشمس اللاهبة •

طلب الي يوم الاحد ان اتولى حراسة قافلة تموين ، ذهبنا الى مكان

جبيل في السفح السوري يدعى بوتسيه .. كان القمح جاهزا للحصاد وغرسات البندورة والفلفل منتشرة في كل مكان . لقد نظف جنودنا قطاع السوريين وفصلوهم عن مؤخرتهم . وعلى حافة الطريق تكومت مجموعة من الجثث لا تسر رؤيتها الناظرين .

الفصل التاسع

ردود الفعل العالمية

علمت اوروبا صباح يوم الخامس من حزيران ان اسرائيل اشتبكت مع جيرانها العرب . بلغ الخبر آذان اولئك الذين كانوا يعدون انفسهم للعب دور هام في ايجاد حل للازمة فلم يرق لهم : فاستيقظ روستو ، المختص بشؤون الامن القومي في حكومة الرئيس جونسون ، عند الساعة ٢٫٥٠ ليرد على مكالمة هاتفية من البيت الأبيض . بلغ روستو الأبيض عند الساعة الرابعة والنصف وتوجه من توه يوقظ الرئيس ويطلعه على الانباء .

وبعد الفجر بقليل كانت آلة التلتيب الروسية في البنتاغون تتلقى رسالة بالروسية .. تمت ترجمة الرسالة وبعثت من جديد الى البيت الأبيض .. كان مصدر الرسالة الكرملين ، كانت دهشة الموظفين الكبار شديدة .. اليست هذه هي المرة الأولى التي يعمل فيها التلفون الأحمر منذ عام ١٩٦٣ بمناسبة الصواريخ الى كوبا ؟ (ولكن الجهاز عمل اكثر من اثني عشر مرة في ذلك الاسبوع) . كانت الرسالة من كوسيغين يعلم فيها الرئيس جونسون ان روسيا لا توافق على حرب الشرق الأوسط وتعرض عن التدخل في الصراع شرط ان تفعل الولايات المتحدة نفس الشيء .. ولمح الى انه بامكان الدولتين الكبيرتين ايجاد طرق صحيحة لاحلال السلم ، كان جونسون لا يزال في فراشه عندما تلقى الرسالة ومع

ذلك رد عليها في الحال .. وفي نفس الحين وصل دين راسك وزير خارجيته .

وعند الساعة السادسة الا خمس دقائق كان رئيس قسم الصحافة في مكتب الرئيس يقرأ تصريح البيت الابيض بمناسبة الحرب .. وننقل هنا مقطعا واحدا منه : « ستبذل الولايات المتحدة كل ما بوسعها لتضع حدا للمعارك وتسعى لاحلال السلام في تلك المنطقة استنادا الى قرارات مجلس الامن وتحقق وقف اطلاق النار الفوري . » وعند الساعة ٨ر١٥ كان راسك وماكنمارا وروستو وكريستيان يجتمعون الى الرئيس جونسون ويعقدون اول اجتماع معه لتحديد سياسة جديدة ازاء هذه الازمة الجديدة. تدارسوا التعاون مع روسيا من اجل فرض وقف اطلاق نار فوري .

انتهى الاجتماع في الصباح وبعده اتصل جونسون بماك جورج باندي وطلب اليه ان يترك وظيفته كمدير لمؤسسة فورد ويأتي للعمل الى جانبه .

وعند الظهر اعلن روبرت ماكلوسكي ، رئيس قسم الصحافة في وزارة الخارجية ، اعلن ان الولايات المتحدة تنوي البقاء على الحياد « فكريا وكلاميا وعمليا » . كان هذا اقتراح راسك وماكنمارا اللذان ناقشا التصريح قبل اعلانه ... لاقى التصريح معارضة قوية في صفوف الجالية اليهودية وبين عدد كبير من رجال السياسة الأمريكيين وتبين لجونسون انه اقترف غلطة كبرى .

وبعد ظهر ذلك اليوم كان عدد من الصحافيين يتساءل : هل تعني تصريحات ماكلوسكي الحيادية التخلي عن اسرائيل ؟ اجتمع جونسون الى راسك بهذا الشأن وعرض عليه وجهات نظره ثم طلب اليه ان يصدر بيانا جديدا يظهر فيه « دور الولايات المتحدة السلمي » .

قال راسك في تصريحه الجديد :

« اود ان احدد ان استعمال كلمة « حياد » ، كما هي عليه في القانون الدولي ، ليست عبارة عدم اكتراث .. ومثل هذا لايسمح لنا بـه قانون الامم المتحدة الذي يفرض علينا واجبات هامة ولعضو دائم في مجلس الامن خاصة ، علينا ان نسعى من اجل تأمين السلام والامن الدوليين .

ومنذ اول يوم من ايام الحرب وحتى نهايتها كان واضحا في العالم كله ، في روسيا ، في مصر ، في اسرائيل ، وفي اي مكان آخر ، ان الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الأيدي اذا ما تعرض وجود دولة اسرائيل للخطر .

وفي مجلس العموم البريطاني وقف جورج براون يصرح ان هدف انكلترا الاول هو وقف اطلاق النار السريع والشامل ... وبعد ان لمح الوزير الى انه لا يعرف من الذي بدأ باطلاق الرصاصة الاولى أضاف : « ان بريطانيا لا تقف الى جانب احد . » .

كان امانويل شينول (١) يظن ككثيرين من مزلائه في البرلمان ان مصير الحرب لن يتقرر في القريب ولذلك وقف يقول ، بعد براون ، انه اذا فشل مجلس الأمن بوقف اطلاق النار ، فاسرائيل مهددة بالزوال من الخريطة ..

وصل نبأ اندلاع الحرب في الشرق الاوسط الى موسكو في الساعة ١٠ر٤٧ (حسب توقيت موسكو المحلي) . واستمرت الاذاعة ووكالات الأنباء السوفياتية تتهم اسرائيل بالاعتداء على الجمهورية العربية المتحدة طيلة النهار .. وفي الليل اعلنت وكالة تاس ان الحكومة السوفياتية تدين

(١) Emmanuel Shinwell — احد البرلمانيين البريطانيين .

الاعتداء الأسرائيلي وتصر على ان توقف اسرائيل اعتداءاتها المتكررة على البلدان العربية •• وختمت الوكالة النبأ بقولها : « تحتفظ الحكومة السوفياتية بحق اتخاذ جميع الاجراءات التي تفرضها ضرورة الوضع • » •

حاولت روسيا في الأمم المتحدة ان تدين اسرائيل وتعتبرها معتدية بينما مالت كل من بريطانيا وامريكا الى نداء مباشر والضغط على الاعضاء من اجل وقف اطلاق النار • ولو ان الدول الثلاث اتفقوا على رأي موحد لوجدوا ان فرنسا ستفاجئهم وتتخذ موقفا مغايرا •• وليست هذه هي المرة الأولى في تاريخ فرنسا منذ سنين •

كان الجميع ينتظرون ان تساند فرنسا اسرائيل كما كانت تفعل دائما وخاصة ان الطيران الاسرائيلي ، في غالبه ، من صنع فرنسي • وقف الرأي العام الفرنسي الى جانب اسرائيل منذ بلغه نبأ بدء القتال • وفجأة تحول اليسار الفرنسي المعادي دائما للصهيونية وراح يعطف على اسرائيل ••• وقام مؤيدو « الجزائر فرنسية » القدماء بتظاهرة في باريس يهتفون : « ستنتصر اسرائيل » • ورغم التظاهرات المؤيدة لاسرائيل ، قررت الحكومة الفرنسية التزام الصمت •

وصرح ديغول ان مصالح فرنسا في الشرق الاوسط يجب ان تأتي في الدرجة الاولى ، قبل العلاقات مع اسرائيل •• ولكي لا تسيء فرنسا الى هذه المصالح قررت التزام الحياد المطلق •• وقد استاء ديغول جدا من ايبان الذي لم يعمل بالنصيحة التي زوده بها اثناء مروره في باريس وطلب اليه ألا تكون اسرائيل البادئة باطلاق النار •• وعبر الصحافي الفرنسي اللامع ، ادوار سابليه ، عن موقف فرنسا احسن تعبير في مقابلة له مع التلفزيون الانكليزي •• فقال :

« ليس هناك من توافق بين موقف فرنسا الآن والموقف الذي اتخذته حكومة غي موليه سنة ١٩٥٦ •• ان الاختلاف يزداد تدريجيا بين عقلانية ديغول وحزمه وبين الموقف الحماسي تجاه اسرائيل والحق لها بالوجود ، ويشمل الشق الأخير ٩٠٪ من الفرنسيين •

عدل الجنرال ديغول قليلا في المعنى الذي يجب اطلاقه على الحياد الفرنسي واضاف انه يعارض اي بلد يهاجم في الدرجة الاولى ••• بقيت المسألة غامضة في تلك اللحظة ، وبقي هذا التصريح كغيره من التصاريح التي يدلي بها رؤوساء الدول ، محيرا نوعا ما •

كان جورج بومبيدو ، مديرا لبنك روتشيلد في باريس قبل ان يصبح رئيسا للوزراء •• وكآل روتشيلد ، كان بومبيدو متحمسا للصهيونية وقد سعى جاهدا لان تستمر اسرائيل بالحصول على الذخيرة الحربية رغم الحصار الذي فرضه ديغول على شحن الاسلحة الى دولة اسرائيل •• ويقال ان قطع غيار طائرات الميراج شحنت الى اسرائيل من هولندا وليس من فرنسا •

كان الرئيس تيتو موجودا في فينيا يوم ٥ حزيران في زيارة رسمية •• وكانت تربطه بالرئيس عبد الناصر صداقة متينة منذ عشر سنوات اي منذ الوقت الذي ولت فيه محاولة الاتحاد بين « الدول غير المنحازة » ومنها الهند ومصر ويوغسلافيا •

كان المارشال تيتو اول زعيم شيوعي يدلي برأيه حول الحرب العربية ـ الاسرائيلية •• فوصف اسرائيل بالدولة المعتدية ووعد بالوقوف الى جانب الدول العربية في « مقاومتها العادلة ضد اسرائيل • » •
انضم احدى عشر بلد عربي الى مصر واعلنوا انهم في حالة حرب مع

اسرائيل •• وهذه الدول هي : الاردن ، سوريا ، لبنان ، العراق ، العربية السعودية ، الكويت ، الجزائر ، المغرب ، اليمن ، السودان ، وتونس ••• ولكن واحدا منها فقط اشترك فعليا في الحرب ، هو الاردن •• دفع الملك حسين رغما عنه وتحت ضغط الرأي العام العربي الى المعركة فقاد جيشه حتى النهاية ولا ننسى ما قام به هذا الجيش الصغير من بطولات في المعارك مع العدو الاسرائيلي ••• والغريب ان سوريا لم تدخل المعركة الا بعد ثلاثة ايام من نشوب الحرب رغم التهديدات التي كانت توجهها ضد اسرائيل والعداء المتأصل ضد الاستعمار على مختلف انواعه •

واحسن لبنان التصرف نظرا لتدني قواته الجوية : فقد اعلن الجيش اللبناني عن اسقاط طائرة اسرائيلية فوق اراضيه وارسلت العراق الى الاردن مائة وخمسين مدرعة قبل بدء الصدام المسلح •

ومع ان هذه القوات لم تشترك فعليا في المعركة ، الا انها بقيت في البلاد بعد وقف اطلاق النار كضيوف غير مرغوب فيهم • اعلن العراق انه في حرب ضد اسرائيل وادعى ان كل دولة تساعد اسرائيل تعتبر معتدية على العراق •• وقال راديو بغداد ان الطيارين العراقيين اسقطوا سبع طائرات اسرائيلية اثناء غارة فوق قاعدة جوية كبرى وقصفوا تل ابيب •• وحتى الآن لم تتأكد بعد صحة اي من النبئين •

كان الملك فيصل في باريس يوم الخامس من حزيران •• وكان قد جاءها من لندن حيث تغدى وشرب عصير البرتقال مع ملكة انكلترا واعضاء الحكومة البريطانية التي كانت ترغب ان تبيعه معدات حربية بمبلغ ماية وخمسين مليون جنيه • بعث الملك رسالة تضامن ومساندة الى الرئيس عبد الناصر واعلن راديو مكة ان القوات السعودية دخلت الى الاردن « لتقاتل

الى جانب اشقائها العرب » •• ولم يأخذ احد علما بهؤلاء الجنود الشجعان وقرر الملك فيصل تمديد اقامته في اوروبا حتى ٢١ تموز •

واعلن امير الكويت ، الشيخ صباح سالم الصباح ، نفسه في حالة حرب دفاعية ضد « اللصوص الصهاينة في فلسطين المحتلة • » واضاف : « لقد دقت ساعة التضحية » •• وكان قد وضع بتصرف مصر ، قبل بدء الحرب ، فيلقا مهمته المساعدة في الدفاع عن شرم الشيخ •

لم تبد الدول العربية الغنية اي استعجال لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين واكتفت باثارة الضجة عالية من حولهم •• في حين قدمت الكويت مساعدة مالية لكل من مصر والعراق والاردن وسوريا •• وذلك على دفعتين : الدفعة الأولى ٥٠ مليون استرليني والدفعة الثانية ثمانية ملايين استرليني •• ولكن الدفعة الاخيرة خصصت للاردن ومصر فقط • تتعامل الكويت بالاسترليني ومن الطبيعي ان تحول هذه المبالغ على بنوك انكلترا مما احدث خللا في البورصة في لندن وانخفض سعر الجنيه •

واكتفت بقية الدول العربية بتظاهرات التأييد للرئيس عبد الناصر والاعتداء على السفارات والمراكز الثقافية الاميركية والانجليزية •

لم يعم الرعب مصر في اول يوم من ايام الحرب • ومع ذلك بعث جيمس رستون مراسل صحيفة نيويورك تايمز في القاهرة ، بعث يقول في ٤ حزيران :

« ان قدرا مقلقا يخيم على المدينة • ان القاهرة لا تريد الحرب وأوكد انها ليست على استعداد للقيام به • ولكنها تقبل الاحتمال ، ان لم يكن ، بشبه التأكيد ، بانها ليست سيدة الاحداث • » •

كان رستون مقتنعا جدا ، ويشهد على ذلك ما ورد في مقاله من ان المحيطين بعبد الناصر كانوا اكثر اتزانا من تصريحاته •• وورد في اقوال اولئك المسؤولين ، على حد قول الصحافي ، : « يؤكدون انهم لا يريدون تدمير اسرائيل ، انما لديهم لائحة بمطالب كثيرة يودون تنفيذها • » •

كان رستون من الرأي القائل بان القاهرة ليست مهتمة على الاقل بتطبيق قواعد حق المرور في خليج العقبة بقدر اهتمامها « بالتوصل الى اتفاق عام وشامل يؤدي الى تغيير اساسي في العلاقات بين الدول العربية واسرائيل • » •

وقيل له ايضا – لم يذكر هنا المصادر التي استقى منها معلوماته – ان تصرف يوثانت لم يرق المسؤولين المصريين وخاصة عندما اصر على سحب قوات الطوارىء من جميع مراكز المراقبة التي تحتلها •• بما فيها المراكز المطلة على مضيق تيران وان المصريين ليسوا على استعداد لارسال قوات للاشراف على تلك المراكز •• » •

ويقول رستون انه ساعة كتابة مقاله ، كانت القوات المصرية في شرم الشيخ ودون تنبيه يوثانت بالطريقة الرسمية •

ان قراءة هذه السطور تسمح لنا ان نفترض بان اسرائيل لم تقرر بدء الهجوم وان الاتجاه المؤيد للعرب ربما كان ليؤثر بسرعة على السياسة الامريكية • ولعل هذا عامل تفسيري آخر واضافي للموقف الاسرائيلي •